نماذج من حياة المرأة المسلمة
في العهدين النبوي والراشدي في ضوء صحيح البخاري

د. عواطف بنت محمد بن يوسف نواب *

ملخص:

إن المتتبع للأحاديث النبوية الشريفة في صحيح البخاري ، يجد أن المرأة في العهدين النبوي والراشدي حظيت بالحرية والتعبير عن الرأي، بل والمساهمة الفعالة في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه ، إضافة إلى تأثيرها في مجريات الأحداث التي حسبت لها والدالة علي رجاحة عقلها.

فالمرأة كانت منصفة ابتداءً من الحق سبحانه وتعالى ، حيث خصها بالذكر في العديد من الآيات القرآنية الكريمة ، بل أنزلت سوراً بأكملها خاصة بها تنظم شئونها ، وكذلك خصت بالعديد من الأحاديث الشريفة ، فالرسول (ص) أوصي بالنساء عموماً .

ولقد وعي الرجال والنساء في تلك الفترة أوامر الله تعالي وأوامر رسوله صلي الله عليه وسلم لذا وصلت المرأة إلى مكانة عالية في مختلف المجالات العلمية كتفسير القران الكريم والسنن وعلم المناسك والاجتهاد والإفتاء وإصدار الأحكام وتصحيح الأخطاء .. ولشدة تقدير المرأة في المجتمع الإسلامي في تلك الفترة حفظ أعلى مصدر للتشريع الإسلامي عند أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما على الرغم من وجود كبار الصحابة رضي الله عنهم

* أستاذ التاريخ المساعد ـ قسم التاريخ ـ كلية الشريعة ـ جامعة أم القرى

فالإسلام حفظ حقوق المرأة بنص القران الكريم كالأقساط في الصداق واختيار الزوج والتعليم . وحفلت كتب السير والتراجم بوصف بعض النساء بالفقهية والعالمة والشهيدة والمجاهدة وذات الفصاحة وذات الرأي والعقل .

ولأهمية دور ومكانة المرأة حرص عليه السلام على أخذ البيعة منها والمواظبة على ذلك في كل فرصة ، وقد كان لها أيضاً مكاناً في بيعة العقبة وبيعة الرضوان.

وهناك العديد من المواقف النسائية المشرفة في الدعوة للاسلام والدفاع عنه قولاً وفعلاً ، وحماية ظهر المسلمين في بعض الغزوات ، كما شاركت الرجل في الهجرة إلى الحبشة والمدينة المنورة ، ومنهن من عرفت بذات الهجرتين ، كما شاركت في الغزوات وكن يتفاخرن بكثرة غزواتهن مع النبي صلى الله عليه وسلم .

وخلص البحث إلى أن المرأة في تلك الفترة كانت عزيزة الجانب رفيعة الشأن لم يمنعها حجابها من القيام بدورها . ونحن إذا أردنا العودة إلى ذلك العهد الزاهر تقع على عواتقنا مهمة نشر مواقف رجال ونساء ذلك الوقت للتعرف عليها مجدداً ويتيقن الجميع أن المرأة متي ما أفسح لها المجال في ظل تعاليم الإسلام ستؤدي دورها مع عدم النظر إليها دونية ومن لا يستطيع القيام أو التصرف بشيء إلا من خلال الرجل أو بالرجوع إليه.

ملخص الإنجليزي:

SUMMARY OF RESEARCH ON PATTERNS OF MUSLIM WOMEN S LIVE IN PROPHETIC AND GUIDED CALIPHATE ERAS IN THE LIGHT OF SAHEH-ALBUKHARI

One who follows the prophetic tradition in Saheh AlBukhari, will find that woman in the prophetic and guided caliphate eras had got freedom, expression of point of views, active contribution and supporting of the call for Islam, as well as impact on events counted for her and indicating her mind preponderance .

Right from the beginning Almighty Allah justified woman by mentioning her in several Quranic verses, rather, an exclusive Quranic surah was revealed in her name to organize her full affairs. Also, many of the prophetic traditions dedicated to her and Prophet Mohammad (PBUH) generally comment Muslims to be fair with women.

Men and women in that period understood the instructions of Almighty Allah's and Prophet Mohammad (PBUH) instructions, therefore, woman reached to high stages in different scientific fields such as interpretation of Holy Quran, explanation of Sunnah, rituals, independent opinion in jurisprudence, determination of judgments and correction of mistakes etc. And due to the far extent of discretion to woman in the Islamic Society, the highest source of Islamic law, i.e., the Holy Quran, was kept in the custody of Ummul Muminin Hafsa dughter of Omer may Allah be pleased on them, although many of close companions of the Prophet were there .

We, also, find that woman worked in all available jobs that not contradicting with Islamic law such as administration of her house affairs, trade, mosque cleaning, light manual industries, slandering etc.

Islam preserved woman's rights by the verses of the Holy Quran such as fair dowry, selection of husband and education. History books and biographies described some woman as "Faqiha" , "Scholar", "Mujahida", eloquent, intelligent and pure minded.

And due to the important role and high rank of women, Prophet Mohammed (PBUM) was keen and persistent to take pledge from them at each opportunity. They also gave pledge to the Prophet (PBUH) in Al-Aqaba and Al-Ridwan pledges.

There are a lot of honored attitudes of women in the way of Call to Islam, and defending Islam by word and action, and backing the Muslim fighters in some battles. Also, she participated in immigration to Abyssinia and immigration to Madinah, some of them known as the bi-immigration women. Likewise they joined Muslim army in some of the battles and they were proud of their a lot participation in Prophet Mohammed (PBUH) battles.

The research concluded that woman in that period was estimated, highly ranked and her Hijab was not a hindrance to play a role. However, if we want to go back to that brilliant period, we have to take the responsibility of popularization of men and women attitudes of that time in order to know them once again so as all will be sure that if woman is given the chance under the shade of Islamic regulations she will carry out her role in a perfect way and no body will give her inferiority look and that she can do nothing except through man or by referring to him.

نماذج من حياة المرأة المسلمة
في العهدين النبوي والراشدي في ضوء صحيح البخاري

د. عواطف بنت محمد بن يوسف نواب *

مقدمة:

حظيت المرأة في العهدين النبوي والراشدي بحيز كبير من الحرية، والتعبير عن الرأي، بل والإسهامات الفعلية الإيجابية في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه. وكذلك التأثير في مجريات الأحداث التي حُسبت لها والدالة على رجاحة عقلها .

فالمرأة في هذين العهدين كان لها قنواتها التي عملت من خلالها ، وهي في نفس الوقت لا تتعارض مع تعاليم الإسلام الحاثة على صيانتها من منطلق الرفع من شأنها وليس إهمالاً لها .

وإن مما دفعني للتطرق لهذا الموضوع ما يثار من وقت لآخر حول مساواة المرأة بالرجل لتأخذ حقوقها ، فهذه الدعوة لم تثر إلا للانتقاص من قدر المرأة المسلمة ، والانتقاص من الشريعة الإسلامية تبعاً لذلك ، فالمرأة المسلمة لو تصفحت تاريخها لوجدته مليئاً بالمواقف التي تُعلي من شأنها . وما هذه الدعوة للمطالبة بحقوق المرأة في البلاد الإسلامية إلا تحقيقاً لقوله ﷺ في حديثه عن أشراط الساعة ، وأنها إحدى الغايات

* أستاذ التاريخ المساعد- قسم التاريخ- كلية الشريعة - جامعة أم القرى

التي سَيُدْخَلُ بها على المجتمع المسلم في التقليد والموافقة للغرب في المخالفات والمعاصي . فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

"لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضب تبعتموهم ، قلنا يا رسول الله : اليهود ، والنصارى قال : فمن ". [١]

كما أني لم أجد على حد علمي مَنْ تطرق لهذا الموضوع بهذه الكيفية ، ومن منطلق صحيح البخاري . وعليه أحسب أنه من الموضوعات التي دعمت مواقفها بالأحاديث النبوية الصحيحة .

وما دعوى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل بالجديدة ، فقد سبق أن ردت نساء عربيات على بطلان هذه الدعوى [٢] . ومنهن أنيسة بنت شرتوني [٣] المتوفاة عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م والتي ردت على هذه الدعوة قبل قرنٍ مضى من الزمان فقالت : " إذا نظرت المرأة إلى الغرض العظيم

---

(١) ابن حجر ، أحمد بن علي :فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج١٣ ، ص٣٠٠ ، حديث رقم ٧٣٢٠ ، كتاب الاعتصام.رقمه وأخرجه محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة . بيروت ، د.ت .ونجد أن الدعوات كثيرة :منها على سبيل المثال تحرير المرأة ، المساواة بين الرجل والمرأة ، إلغاء الحجاب ، وإلغاء تعدد الزوجات وغيرها .

(٢) كحاله ، عمر رضا :أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، ج٢ ، ص٨٤-٩٠ ، مؤسسة لرسالة ، ط١٠، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

(٣)أنيسة بنت سعيد شرتوني أدبية كاتبة ولدت في بيروت عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م تعلمت أصول العربية وقواعد اللغة الفرنسية والتاريخ والجغرافيا والحساب ومبادئ الطبيعيات وفنون الأعمال اليدوية كالزركشة والتطريز توفيت عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م. المرجع السابق ، ج١ ، ص ٩٩-١٠٥ .

الشأن الذي كوُنت تكويناً كافلاً للقيام به رأت أنها منبت الورى كلهم أجمعين من ضعيف وقوى ومسكين وغني وجاهل وعالم وسوقه وملك ، علمت علم اليقين أنه لم يأت العالم رجلٌ إلا خاضعاً لسلطانها منقاداً لحكمها لائذاً برأفتها مستخرجاً رزقه من ثدييها لا ملجأ له سواها . وإنما هي أول أستاذ له وأول حاكم عليه فما على وجه البسيطة من ملك لم يكن أول عهده بالدنيا تحت يد المرأة، وما من سلطان لم تعرك المنرأة أذنه أو تضرب خده بكفها. فأي رجل لم يكن وديعة رحمتها وأمانة رأفتها ؟ أم أي رجل ليس هو ابن امرأة ؟! ... فلا أدرى كيف تطلب بعد هذا مساواة الرجل ومشاركته في ما لم تخلق له من الأمور والأعمال. فأكتف أيتها المرأة الحكيمة بالاستقلال بحمل هذا العبء العظيم الذي من أجله يجب على الرجل أن يقدم لكِ أقصى ما يتصور من التكريم . وأما هذه الآراء الجديدة فلا أراها إلا من باب مخالفة الطبيعة ولا يُعرف في الكون عمل خالف الطبيعة ونجح " .[٤]

ونجد كثيراً ما تثار قضايا المرأة وتطرح على ساحة المناقشات ، ولكن هل كل ما قيل ويقال عن وضعها صحيح ؟ وأنها مظلومة ومسلوبة الحقوق ؟ وإذا كان هذا الأمر صحيحاً فهل هو مستجد ؟ أم أنه منذ بدء الإسلام ؟! وأن الإسلام تغاضى عن حقوقها ، وحاشا لله أن يكون ذلك . وقبل أن نتناول أدلتنا من صحيح البخاري لنا أن

(٤) المرجع السابق ، والجزء والصفحات .

نستشهد بقول امرأة غربية [٥] ، قدمت إلى أرض الجزيرة العربية في العشرينات من القرن العشرين عن وضع المرأة العربية المسلمة فقالت : " تحتل المرأة منزلةً عاليةً فالمعنى الأصلي لكلمة حريم [٦]، هو الشرف أو الحرمة. والمرأة خارج منزلها دائماً محجبة تتسوق وتزور صديقاتها وتذهب إلى المكان الذي تريد بسلام دون خوف من أن يكشف حجابها أحد ، أو يقول لها قولاً شخصياً في أثناء مرورها عبر الطرقات المزدحمة لا تختلط بأصدقاء زوجها في المناسبات الاجتماعية ، ولكنه يحترم ذكاءها ويقدره ويستشيرها في جميع الأوقات ، وبعبارة أخرى، فالزوج والزوجة في الجزيرة العربية شركاء حقاً والمرأة في منزلها ملكة . وعلى العموم فإن لدى الغربيين فكرة خاطئة عن وضع المرأة في الشرق ، مع أن وجهة نظرنا ترى أن حريتهن محدودة فإنهن في الواقع يُعَاملن باحترام وفروسية واعتبار " .[٧]

إن المرأة في المجتمع المسلم هي شطره لا يقل دورها أهمية عن دور الرجل سواء من الناحية العلمية أو الاجتماعية أو الدينية أو السياسية .

---

(٥) نورة توتيشل فنانة ترسم بالفرشاة وتبدع بالقلم صوراً رقيقة . كانت أولى رحلاتها إلى الجزيرة العربية إلى اليمن عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م . برفقة زوجها كارل توتيشل وكان لها معرفة بالبلاد العربية الأخرى . وتتحدث اللغة العربية . انظر نورة توتيشل: 'بلاد العرب'، مجلة الدارة ، ص١٣١ ، هامش (١) ، العدد الأول ، السنة ٢٨ ، عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٦) (الحريم) : ما حُرم فلم يمس . والحُرمة المهابة وحُرَمُ الرجلِ عيالُهُ ونساؤه وحُرَمُ الرجل وحريمُهُ ما يقاتل عنه ويحميه وحرمة الرجل حرمة وأهله . انظر ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري : لسان العرب ، ج١٢ ، ص١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

(٧) توتيشل ، نورة : 'بلاد العرب' ، ص١٣١-١٣٤ ، ترجمة محمد بن منصور أبي حسين ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة ٢٨ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

فالمرأة المسلمة في العهدين النبوي والراشدي تفاعلت مع الأحداث وظهرت من خلالها ، ونحن إذا أردنا الاستشهاد بموقف للمرأة المسلمة في ذلك الوقت بحثنا في أمهات الكتب حتى نحظى بمواقفها التي لقيت فيها كل التشجيع لتظهر شريكةً للرجل ومكملة له . وقد تنبه الأستاذ كحاله لهذا الأمر الذي دعاه لتأليف معجمه أعلام النساء فقال : " إن الباحث إذا أراد أن يبحث في المرأة العربية أو المسلمة ، يجد عقبة كأداء لا يذللها إلا إذا مكث ردحاً من الزمن منقباً في بطون الأسفار المطبوعة والمخطوطة ، لعله يظفر بطلبته ويدرك حاجته . وليس ذلك سلس المطلب سهل المرام لكل من طلب ذلك ، بل لابد له من أن يتجشم في بحثه مشقة " . (٨)

فهو هنا يصور صعوبة البحث من أجل الحصول على معلومات عن المرأة المسلمة ليس لعدم وجودها ، ولكن لتبعثرها بين طيات المخطوطات والكتب وعدم تصنيفها وإبرازها . وكان هذا باعثه لجمع أخبارها .

ومما سبق سنحاول إيراد نماذج من حياة المرأة المسلمة في العهدين النبوي والراشدي من خلال صحيح البخاري ، والذي وجدنا فيه معلومات ثرية توضح ما حظيت به المرأة المسلمة في حدود إمكاناتها وما حدده الشرع الإسلامي لها وليس كما يصور الآن من أن المرأة والرجل عدوان لدودان لابد من الحرب بينهما لتأخذ المرأة حقوقها ويكافح الرجل لمنعها .

---

(٨) كحالة : أعلام النساء ، ج١ ، ص ٣ .

لقد اعتمد في هذا البحث على الأحاديث التي وردت في صحيح البخاري فقط ، والخاصة بأمور المرأة . وكما هو معلوم فإن أغلب هذه الأحاديث روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . إذ كانت هي المثال الأبرز فيما يخص المرأة وذلك لقربها من الرسول ﷺ، وليس لانعدام دور المرأة في تلك الفترة ، وعليه فلا يفهم أن البحث مقصور على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

ولأهمية دور المرأة في العهدين النبوي والراشدي ومشاركتها للرجل نرى الرسول ﷺ عندما جهر بالدعوة . ذكر قرابته من رجال بني هاشم وأردف بعدهم بذكر عمته صفية وابنته فاطمة رضي الله عنهما [٩]. علاوة على أن عمار بن ياسر رضي الله عنه ذكر أنه في بداية الدعوة لم يكن مع رسول الله ﷺ إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبوبكر [١٠].

وعليه فليست المرأة شيئاً مهملاً لا يحسب حسابه . ويكفي المرأة المسلمة الآن إن أرادت المساواة والتحرر أن تعود لمرجعها _ الشريعة الإسلامية _ وتطالب بتصحيح المفاهيم والسلوك وتلتزم بوسطية الإسلام وترفض الغلو والتطرف والتفريط في شأنها والانسياق وراء الفلسفات الإباحية الغربية [١١]. فهذه الدعوات نابعة أصلاً من شعور

---

(٩) ابن حجر : فتح الباري ، ج٥ ، ص٣٨٢ ، حديث رقم ٢٧٥٣ ، كتاب مناقب الأنصار.

(١٠) المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٧٠ ، حديث رقم ٣٨٥٧ ، كتاب مناقب الأنصار .

(١١) القرضاوي ، يوسف : أمتنا بين قرنين ، ص١٥٩، ١٦١ ، دار الشروق ، ط١ ، ١٤٢١هـ/ (٢٠٠٠) م ، القاهرة .

المرأة الغربية بالمهانة وانتقاص حقوقها واستغلالها بأبشع الصور . فهي كالسلعة سواءً بسواءٍ . لذا فلا وجه للمقارنة بينها وبين المرأة المسلمة . لأن الإسلام أعطى للمرأة كامل حقوقها ابتداء ، بدون طلب منها ، تمشياً مع نظرته العامة إلى تكريم الإنسان عامة .[١٢]

التَمهيد

المرأة في القرآن الكريم

إن خير ما يبدأ به هذا الموضوع هو القرآن الكريم ، فقد ورد لفظ المرأة والرجل به فهما سيان في الخلافة في الأرض .

كما نجد القرآن الكريم قد جمع بين الرجل والمرأة في آيات متعددة كما ساوى بينهما في الأعمال الصالحة مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[١٣].. ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾[١٤].. ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١٥].. ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

---

(١٢) قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، ج٢ ، ص٦٤٥ وما يليها ، دار الشروق ، ط٩ ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م ، د.م .

(١٣) القرآن الكريم : سورة النساء ، ١٢٤ .

(١٤) القرآن الكريم : سورة آل عمران ، ١٩٥ .

(١٥) القرآن الكريم : سورة النحل ، ٩٧ .

ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١٦).. ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴾ .(١٧)

لقد ورد في القرآن الكريم ذكر جميع قرابات النساء _ كالأم، والأخت، والزوجة، والابنة، وبنات الأخ والأخت ، وبنات العم والعمة، والعمات ، وبنات الخال والخالة، والخالات _ قال تعالى : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ (١٨) .. ﴿ وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ (١٩) ..... ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ (٢٠) .. ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ ﴾ (٢١)..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ ﴾ (٢٢)

وقرنت المرأة مع الرجل في عظم الأجر قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

---

(١٦) القرآن الكريم : سورة الحجرات ، ١٣ .
(١٧) القرآن الكريم : سورة النجم ، ٤٥ .
(١٨) القرآن الكريم : سورة لقمان ، ١٤ .
(١٩) القرآن الكريم : سورة القصص ، ١١ .
(٢٠) القرآن الكريم : سورة الأنبياء ، ٩٠ .
(٢١) القرآن الكريم : سورة النساء ، ٢٣ .
(٢٢) القرآن الكريم : سورة الأحزاب ، ٥٠ .

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢٣)

ومما سبق من الآيات نجد أن النساء شقائق الرجال ولا يوجد حد بينهما . كما أن هناك العديد من السور نزلت في النساء خاصةً مثل : النساء ، المجادلة ، مريم ، الطلاق ، الممتحنة ، النور .

فالله سبحانه وتعالى لم يهضم حق النساء فيما أنزله من آيات قرآنية كريمة تتلى إلى يوم الدين تحدد وضعها وتنظم شئونها ، فالمرأة كانت محوراً مهماً في الدين حدد وضعها ونظم شئونها . وركز القرآن الكريم على أهميتها والحفاظ على حقوقها ورعايتها . وما يحدث الآن من هضم لحقوقها إنما هو ناجم عن سوء فهم من الرجل والمرأة لما كفله الله تعالى للمرأة فالخطأ يعود عليهما معاً .

<u>المبحث الأول : الحياة العلمية والدينية :</u>

المرأة والتعليم :

- حض النبي ﷺ على تعليم المرأة وحرصه على ذلك :

من الأمور التي حض الرسول ﷺ على العمل بها ورغب فيها ، وجعل الجزاء عليها مضاعفاً ، تعليم البنات فقد روى عنه ﷺ قوله : " ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أَمَة

(٢٣) القرآن الكريم : سورة الأحزاب ، ٣٥ .

فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران" [٢٤]. وإذا كان هذا حظ الأمة فما بالك بالحرة المفروض على وليها أن يعلمها ويؤدبها على الوجه الأكمل .

يدل على حرص النبي ﷺ على تعليم المرأة وتفقيهها قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ كان أحياناً يقرأ الآيات القرآنية بعد نزولها مباشرةً على نسائه ومن ثم يخرج ليقرأها على أصحابه [٢٥] .

وأيضاً نجده ﷺ يهب لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه رائطة بنت حيان [٢٦] من سبى هوازن وشرط عليه أن يعلمها القرآن الكريم رغبة في نشر تعليمه. [٢٧]

كذلك حث الرسول ﷺ على مبادرة المرأة إلى طلب العلم والسعي لاكتسابه فقد روى أبوسعيد الخدري رضي الله عنه أن النساء قلن للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن . [٢٨]

---

(٢٤) ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص١٩٠ ، حديث رقم ٩٧ ، كتاب العلم .

(٢٥) المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢٠٤ ، حديث رقم ٤٥٤٣ ، كتاب تفسير القرآن .

(٢٦)رائطة بنت حيان بن عميرة بن ناصرة من سبى هوازن وهبها رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فعلمها شيئاً من القرآن الكريم . ابن حجر ، أحمد بن علي : الإصابة في تميز الصحابة وبهامشة كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، ج٤، ص٢٩٩ ، ترجمة رقم ٤٠٣ .دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ؛ ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٦ ، ص١٠٥ ، دار الفكر ، د.ت ، د.م .

(٢٧) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص١٠٥ .

(٢٨) ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص١٩٢ ، حديث ٩٨ ، ١٠١ كتاب العلم .

كانت المرأة في العهد النبوي حريصة كل الحرص على عدم إغفال أمرها . فكانت تبادر لتكون لها مكانتها ، خاصة وأن القرآن الكريم لا زال ينزل على الرسول ﷺ ، فنجد أن نسيبة بنت كعب [٢٩]. قالت لرسول الله ﷺ:"إن كل شيء للرجال وليس للنساء شيء". فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...﴾. [٣٠]

وليس هذا فحسب فأم سليم [٣١] سألت النبي ﷺ بادئة سؤالها " إن الله لا يستحي من الحق" [٣٢]. لإحساسها أن الموضوع فيه حرج . وبناء عليه

---

(٢٩)نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف .أم عمارة شهدت العديد من الغزوات مع رسول الله ﷺوهي إحدى المرأتين اللتين بايعتاه في العقبة الثانية ، وشهدت بيعة الرضوان . قتل ابنها حبيب يوم اليمامة عام ١١هـ/٦٣٢م .قتله مسيلمة الكذاب وكانت قد قاتلت هي أيضاً في ذلك اليوم .انظر ابن هشام ، أبو محمد عبدالملك : السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٦٦، ٤١١، تحقيق وضبط وشرح وفهرسة مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي ، دت ، دار الكنوز الأدبية ؛ ابن حجر : الإصابة ، ج٤ ، ص٤١٨ ، ترجمة رقم ١٠٥٦ .

(٣٠) القرآن الكريم : سورة الأحزاب ، ٣٥ ؛ القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري،الجامع لأحكام القرآن ، ج١ ، ص١٨٥ ، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم اطفيش ، ط٢ ، دت ، د.م .

(٣١)أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد حرام تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك ثم تزوجها أبو طلحة زيد بن سهل فولدت له عبدالله وأبا عمير . أسلمت وبايعت وشهدت حنين وكانت يوم أحد تسقى العطشى وتداوي الجرحى . شهد لها النبي ﷺ بالجنة وكانت تعرف الغميصاء ويقال الرميصاء .لها الكثير من المواقف مع النبي ﷺ . انظر ابن سعد ، محمد بن سعد ، ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م : الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٤٢٤-٤٣٤ ، دار صادر _ بيروت ، دت .

(٣٢) ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص٣٨٨ ، حديث رقم ٢٨٢ ، كتاب الغسل .

امتدحت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نساء الأنصار لذلك فقالت:" نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين".(٣٣)

أما نساء قريش فكن يكلمن الرسول ﷺ ويستكثرن من الأسئلة (٣٤). حرصاً منهن على التعليم والتفقه في أمور الدين . ولم يكتف الرسول ﷺ بأن يكون هو الوحيد القائم على تعليم المرأة وتأديب البنات، بل حث أولياء أمورهن على حُسن معاملتهن والإحسان إليهن ، وقرن ذلك بالمثوبة من الله تعالى فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار".(٣٥)

أقبلت المرأة على التعليم وأحياناً يصدر منها بعض المبالغة في تطبيق العبادات رغبة في الأجر والثواب فيرفق بهن الرسول ﷺ ويعلمهن الأوفق لهن حسب طاقاتهن ، فمن ذلك قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : " إن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال : من هذه ؟ قالت : فلانة تذكر من صلاتها ! قال : مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه " .(٣٦)

---

(٣٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٢٨ ، حديث رقم ١٣٠ ، كتاب العلم .

(٣٤) المصدر السابق ، ج٦ ، ص٣٣٩ ، حديث رقم ٣٢٩٤ ، كتاب بدء الخلق .

(٣٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٢٦ ، حديث رقم ٥٩٩٥ ، كتاب الأدب .

(٣٦) المصدر السابق والجزء ، ص١٠١ ، حديث رقم ٤٣ ، كتاب الإيمان .

ونتيجة لحرص المرأة في العهد النبوي على تطبيق ما تعلمته حدا بها ذلك إلى حد تحميل نفسها مالا تطيق فتكون بذلك فرصة للتعليم والتصحيح المباشر لها من الرسول ﷺ فمن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن الرسول ﷺ دخل المسجد فوجد حبلاً ممدوداً بين ساريتين فقال : " ما هذا الحبل " قالوا : هذا حبل لزينب [٣٧] فإذا فترت تعلقت "فقال النبي ﷺ:"حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد" [٣٨]

وكانت معلمة النساء الأولى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تعلم وتصحح للنساء عندما تجد تشددهن في أمور العبادات فقد وصفت امرأة تشددت في إعادة صلاتها بعد حيضها بالحرورية [٣٩] وبينت لها أنهن لم يكن يفعلن ذلك على عهد النبي ﷺ [٤٠]

وكذلك دأبت الصحابيات المتفقهات على تعليم غيرهن ، فقد عابت ابنة زيد بن ثابت على المتشددات في تحرى الطهر [٤١]

كما وصفت بعض الصحابيات والتابعيات بالفقيهه ، والعالمة ، والشهيدة ، وذات الفصاحة ، وذات الرأي والعقل [٤٢]. لسعة علمهن .

---

(٣٧)هناك شك في نسبتها أهي أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أو أختها حمنه . أنظر المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٦ .

(٣٨)المصدر السابق والجزء والصفحة ، حديث رقم ١١٥٠ و ١١٥١ ، كتاب التهجد .

(٣٩) (حري) حَرَى الشيء يَحرِى حَرْياً : نقص . الحَرْيُ النقصان بعد الزيادة . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج١٤ ، ص١٧٢ .

(٤٠) ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص٤٢١ ، حديث رقم ٣٢١ ، كتاب الحيض .

(٤١) المصدر السابق والجزء ، ص٤٢٠ ، كتاب الحيض .

(٤٢)البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري بحاشية السندي ، ج٢ ، ص ٣٠٥ ، كتاب الأدب . دار المعرفة ، بيروت ، د ت ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص١٠

تمتعت المرأة في العهد النبوي بحق الاستفسار والمراجعة للاستزادة من العلم في الأمور التي لا تفهمها ، مثال ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت إذا سمعت شيئاً لا تعرفه راجعت فيه الرسول ﷺ حتى تعرفه . فقد روى أن النبي ﷺ قال : " من حوسب عذب ". فبادرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالاستفسار ومناقشة ما قال مستشهدة في ذلك بالقرآن الكريم فقالت: " أوليس يقول الله تعالى ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيراً ﴾ (٤٣) . فرد عليه السلام موضحاً : " إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك " (٤٤)

ومن المواقف التي توضح حرص النبي ﷺ على تعليم المرأة وتفقيهها في المناسبات التي تسنح له ، توضح المقابل شغف المرأة للتلقي عنه والاستفهام منه للاستزادة من العلم ، وليبين لهن ما غمض عليهن من أقواله . فقد روى أنه ﷺ مر بالنساء في مصلاهن فقال: " يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار " فقلن : وبم يا رسول الله قال: " تكثرن اللعن وتكفرن العشير (٤٥) ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن " . قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله قال : " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة

، ١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٢ _ ١٣٣ ، ١٦٢ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣١٧.وهذه صفات لبعض النساء في عهد النبي ﷺ وبعده .

(٤٣) القرآن الكريم : سورة الانشقاق ، ٨ .

(٤٤) ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص١٩٦-١٩٧ ، حديث رقم ١٠٣ ، كتاب العلم .

(٤٥) (تكفرن العشير) : جحد حق الزوج .أنظر المصدر السابق والجزء ، ص٤٠٦ ، باب الحيض.

الرجل " ؟ قلن : بلى قال : " فذلك من نقصان عقلها . أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم " . قلن بلى قال : " فذلك من نقصان دينها " (٤٦)

ولأهمية النساء في المجتمع الإسلامي ، كان عليه السلام دائم الحرص على التأكيد عليهن في التزامهن ببيعته . فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر على النساء بعد صلاة الفطر وتلى عليهن قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤٧) . قال : " أنتن على ذلك " فأجابته امرأة منهن نعم (٤٨)

كما لم يحدث قط أن ارتدت امرأة هاجرت وبايعت الرسول ﷺ (٤٩)، علاوة على تمسكها بدينها حتى ولو كانت وحيدة مستضعفة وعلى غير دين قومها كأم ابن عباس رضي الله عنهم (٥٠). وحتى لو أدى

---

(٤٦) المصدر السابق والجزء ، ص٤٠٥ ، حديث رقم ٣٠٤ . باب الحيض .

(٤٧) القرآن الكريم : سورة الممتحنة ، ١٢ .

(٤٨) ابن حجر : فتح الباري ، ج٢ ، ص٤٦٦ ، حديث رقم ٤٦٧ ، كتاب العيدين .

(٤٩) المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٢٣ ، حديث رقم ٢٧٣٣ ، كتاب الشروط .

(٥٠) أم الفضل بنت الحارث الهلالية :أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها كانت زوج عم الرسول ﷺ العباس بن عبدالمطلب . ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص١٣٢ ؛ ابن حجر : فتح الباري ، ج٣ ، ص٢١٨ ، كتاب الجنائز .

الأمر إلى استشهادها كما حدث لأم عمار بن ياسر [٥١]. وهي بذلك أول شهيدة في الإسلام [٥٢]

لقد عرفت المرأة في العهد النبوي أهمية العلم والتعليم فعملت بعض النساء في هذه المهنة ، فأم سعد بنت سعد بن الربيع [٥٣]. كانت تعلم الأولاد القرآن الكريم وأسباب نزوله [٥٤]. وكانت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها تعرف القراءة والكتابة . فحرص عليه السلام على أن تتقن الخط وتجوده أيضاً ، فأمر من علمتها بأن تتعهدها حتى يتم لها ذلك ، كما أمر امرأة تدعى الشفاء [٥٥]. أن تعلمها الرقى [٥٦]

وعلاوة على ما سبق نجد في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما ذهب إلى بيت أخته فاطمة وزوجها رضي الله عنهما ووجدهما يتعلمان القرآن الكريم على يد خباب بن الآرت رضي الله عنه [٥٧]. لهو دليل مهم على إثبات حق المرأة في التعليم ، إضافة إلى

---

(٥١) ابن هشام : السيرة ، ج١ ، ص ٣٢٠ .

(٥٢) العسكري : أبو هلال : الأوائل ، ص١٧٤ ، الناشر أسعد طرابزوني ، د.ت ، د.م .

(٥٣)أم سعد بنت سعد بن الربيع الأنصارية كانت يتيمة في حجر أبي بكر الصديق رضى الله عنه وكانت تعلم القرآن للصغار . انظر ابن حجر : الإصابة ، ج٤ ، ص٤٥٦ ، ترجمة رقم ١٢٩٤ .

(٥٤) المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٥٥) الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس القرشية العدوية . أسلمت قبل الهجرة وبايعت وكانت من المهاجرين الأول وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدمها في الرأي ويرعاها ويفضلها وربما ولاها شيئاً من أمر السوق . انظر المصدر السابق والجزء ، ص٣٤١-٣٤٢ ، ترجمة رقم ٦٢٢ .

(٥٦) المصدر السابق والجزء والصفحتين .

(٥٧) خُباب بن الأرت ابن جندله بن سعد بن خزيمة بن كعب . سبى وبيع بمكة المكرمة فاشترته أم أنمار وكان من المستضعفين المعذبين بمكة المكرمة . أسلم

ذهاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ذلك إلى دار الأرقم (٥٨) وهي أول دار للعلم لتعليم المسلمين وكان يوجد بها بعض الرجال في والنساء وهي إشارة مهمة إلى أن الإسلام لم يفرق بين الرجل والمرأة في التعليم حتى في ذلك الظرف العصيب ، وهم فئة مستضعفة تخاف على نفسها ودينها وما ذلك إلا لأنها مكلفة مثل الرجل بالتعلم .

المرأة والتربية العملية :

أعطى وجود أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حجرتها المطلة على المسجد النبوي مزية الاستماع إلى أحاديث الصحابة رضوان الله عليهم عن قرب ، إذ حرصوا أن يكون جلوسهم بجوار الحجرة حتى يتسنى لها الاستماع والتعليق على أحاديثهم بالاستحسان إن أحسنوا وبالتصحيح إن اخطأوا وبالموافقة إن أجادوا . فكانت رضي الله عنها أن أمكنها التعليق من خلف الحجرة علقت وإن لم يمكنها لانشغالها بصلاة أو تسبيح تفصح بعد ذلك بالتصحيح والتعليم بعد انتهائها . لعلمها تعمدهم اسماعها أحاديثهم رغبة في الاستزادة من

قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها . شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ . وتوفي سنة ٣٧هـ/٦٥٧م . أنظر ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص١٦٤-١٦٧ ؛ ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص٥٧-٥٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٥٨) (دار الأرقم) كانت على الصفا أو قريباً منه ، وهي الدار التي كان يصلى فيها المسلمون سراً ويتعلمون فيها القرآن الكريم. وكانت تقع خارج مسجد مطلع شمس بينها وبين الصفا درب السيل ومكانها دثر الآن . أنظر البلادي ، عاتق بن غيث : معجم معالم الحجاز ، ج٣ ، ص١٩٣-١٩٤، دار مكة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

علمها . فعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت له : " ألا يعجبك أبو فلان جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله ﷺ يسمعني ذلك وكنت أسبح فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه أن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردهم " (٥٩)

وعندما كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله تحدث في أمر وتراجع فيه وقد فصلت القول والرأي فيه تبادر المراجع بقولها : " إنما أحدثك ما سمعت أفاحدث ما لم أسمع" (٦٠). حرصاً منها على نقل القول الصحيح.

ومما يدل على حرصها رضي الله عنها في التثبت من أحاديث الرسول ﷺ التي لم تسمعها منه مباشرة ، بل وصلت إلى مسامعها من بعض الصحابة ، كانت تختبر صدق وحفظ قائل الحديث ودقته في الرواية " فعن عروة بن الزبير قال : قالت لي عائشة يا ابن أختي بلغني أن عبدالله بن عمرو بن العاص مارٌّ بنا إلى الحج فالقه فسائله فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً قال : فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ قال عروة : فكان فيما ذكر أن النبي ﷺ قال : إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعاً ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم ويبقى في الناس رؤوساً جهالاً يفتونهم بغير علم فَيَضلون ويُضلون قال عروة : فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وانكرته قالت : أحدثك أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا ؟ قال عروة : حتى إذا كان قابل قالت له :

---

(٥٩) ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص٥٦٧ ، حديث رقم ٣٥٦٨ ، كتاب المناقب .

(٦٠) المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٥٨ ، حديث رقم ٥٥٩٥ ، كتاب الأشربه .

إن ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم قال : فلقيته فساءلته فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى قال عروة فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه إلا قد صدق أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص"[٦١]. فأم المؤمنين هنا تعرف لأهل العلم حقهم وتعلم من خلفها من رجال ونساء بوجوب التثبت من صحة الأحاديث ، علاوة على الإشارة للنساء أنهن إذا لم يستطعن سؤال أهل العلم مباشرة فلا ضير عليهن من ارسال من يثقن فيه للقيام بذلك بدلاً عنهن .

(٦١) المصدر السابق ، ج١٣ ، ص٢٨٢ ، حديث رقم ٧٣٠٧ ، كتاب الاعتصام .

المرأة وتفسير القرآن الكريم :

ليس هناك ما يمنع المرأة من الوصول إلى درجة عالية في تفسير القرآن الكريم ، وهذا نجده متجلياً في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فعندما يجتهد أحد الصحابة أو التابعين رضوان الله عليهم في تفسير آية من القرآن الكريم يراجع فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ويحاورها في استنتاجه . فمن ذلك سؤال عروة بن الزبير رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [٦٢]. فقال لها : إنه ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة فردت عليه : بئس ما قلت . إن هذا لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن يتطوف بهما . ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل [٦٣]. فكان من أَهَلَّ يتحرج أن يطوف بهما فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية [٦٤].

وكان عروة بن الزبير رضي الله عنهما كثيراً ما يراجع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حول تفسير آيات من القرآن الكريم . فتصحح

---

(٦٢) القرآن الكريم : سورة البقرة ، ١٥٨ .

(٦٣) (المشلل) : بالضم ثم الفتح وفتح اللام أيضاً . جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. وتعرف حرة المشلل اليوم بالقديدية نسبة إلى قديد الوادي المعروف وترى يميناً بعد التاوز من القضيمة ذهاباً إلى المدينة المنورة ، انظر البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج٨ ، ص ١٧١-١٧٣ .

(٦٤) ابن حجر : فتح الباري ، ج٣ ، ص٤٩٧ ، حديث رقم ١٦٤٣ ، كتاب الحج .

له ما ذهب إليه، ومنها استفساره عن تفسير قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ (٦٥) أو ﴿كُذِّبُوا﴾. فقالت : بل كذبهم قومهم فقال : والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت : يا عروة لقد استيقنوا بذلك فقال : فلعلها أو كُذِبوا فقالت: معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأس كذبهم من قومهم وظنوا أن اتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله (٦٦). وهي في تصحيحها هذا تصحيح أيضاً لحبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما لأنه كان يرى كما يرى عروة (٦٧)

المرأة والسنن :

لم يستنكف الصحابة رضوان الله عليهم ، عن سؤال أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنهما ، عندما يشكل عليهم أمر من الأمور التي كان الرسول ﷺ يفعلها للتثبت من الفعل الصحيح . فقد روى عن كريب أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن أزهر رضي الله عنهم أنهم أرسلوه إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يسأل عن الركعتين بعد صلاة العصر لأنه قد وصل إلى علمهم أنها تصليها وقد نهى الرسول ﷺ عنها . وذكر ابن عباس أنه كان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يضربان الناس

---

(٦٥) القرآن الكريم : سورة يوسف ، ١١٠ .

(٦٦) ابن حجر : فتح الباري ، ج٨ ، ص٣٦٧ ، حديث رقم ٤٦٩٥ ، كتاب تفسير القرآن

(٦٧) المصدر السابق والجزء ، ص٣٦٧-٣٦٩

عنها ، فدخل عليها وسألها فأحالته إلى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، فرجع وأخبرهم بما قالت فأمروه بالمضي إليها فأخبرته أنها رأت الرسول ﷺ يصليها وسألته وهي تعلم أنه نهى عنها فأجابها : أن وفد عبد قيس شغلوه عن ركعتين بعد الظهر لذا صلاها في ذلك الوقت [٦٨]

المرأة والاجتهاد :

وصلت المرأة إلى درجة عالية في الاجتهاد ، فأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تلميذة الرسول ﷺ التي تلقت العلم عنه مباشرة ، فقرن اسمها مع كبار الصحابة رضوان الله عليهم المجتهدين والمحدثين حتى سميت سلسلة الرواة التي فيها السيدة عائشة رضي الله عنها بسلسلة الذهب . كما تعد أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ [٦٩] ومن جملة اجتهادات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ما حدث به عروة عنها أنها قالت : " الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر " فقال الزهري لعروة : ما بال عائشة تتم قال : تأولت ما تأول عثمان [٧٠]

وعُرف عنها أيضاً أنها من أعلم النساء بالفرائض ومشيخة أصحاب الرسول ﷺ يسألونها عنها [٧١]. وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قوله : " ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديثا قط فسألنا

---

(٦٨) المصدر السابق والجزء ، ص٨٦ ، حديث رقم ٤٣٧٠ ، كتاب المغازي .

(٦٩) مخلوف ، محمد بن محمد :شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ص٤٥ ، ٤٨ ، دار الفكر ، د.ت .

(٧٠) ابن حجر : فتح الباري ، ج٢ ، ص٥٦٩ ، حديث رقم ١٠٩٠ ، كتاب الصلاة .

(٧١) ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص٦٦ .

عائشة عنه إلا وجدنا عندها منه علماً " [٧٢]. كما كانت رضي الله عنها من أفصح الناس وأفطنهم وأعلمهم . وقد استقلت بالفتوى زمن أبي بكر وعمر وعثمان وإلى أن ماتت عام ٥٨هـ/٦٧٧م [٧٣]. وذكر عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه ما رأى أحداً أعلم بالقرآن الكريم ولا بفريضة ولا بالحلال ولا بالحرام ولا بفقه ولا بطب ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة . [٧٤]

المرأة والإفتاء والتفسير والرد على الأسئلة والرجوع إليها في إصدار الأحكام :

لا يمنع المرأة من التصدر للإفتاء أو التفسير شيء ما دامت بهما عالمة، وبدون الاختلاط مع الرجال ، فقد روى مجاهد أنه دخل المسجد هو وعروة فوجدا عبدالله بن عمر جالساً إلى حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فسألوا عبدالله بن عمر عن عدد عمرات الرسول ﷺ فقال : أربع إحداهن في رجب ، فكرهوا الرد عليه وأرجعوا الفصل والرد عليه إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت منصتة لحديثهم فسألوها فقالت: " يرحم الله أبا عبدالرحمن ما اعتمر في

---

(٧٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٧٤-٣٧٥ ؛ حلبي ، محمود طعمه : نساء حول الرسول ﷺ فواضل النساء المقربات من رسول رب السماء ، ص٦٤ ، دار المعرفة _ بيروت _ لبنان ، ط٧ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

(٧٣) ابن سعد : الطبقات ، ج٢ ، ص٣٧٤-٣٧٦ ، ج٨ ، ص٨٠ .

(٧٤) المصدر السابق والجزء ، ص٣٧٤-٣٧٦ ؛ حلبي : نساء حول الرسول ، ص٦٤-٦٦ .

رجب قط [٧٥]. ولم يرد عليها عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لعلمه أنها أعلم منه .

كما كانت توجه الأسئلة والاستفسارات إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله فتجيب عنها إجابة العالم الراسخ في علمه ، ومنها سؤالها عن نحر الرجل عن أهله فأجابت : أن رسول الله ﷺ نحر عن أزواجه البقر يوم النحر[٧٦]

وأيضاً عندما تسمع استفساراً من أحد الصحابة رضوان الله عليهم ويكون فيه خطأ بَيِّنٌ ، تبادر بالتصحيح بالأدلة حتى يطمئن السائل إلى إجابتها ويأخذ بها باقتناع كيف لا وهي تلميذة رسول الله ﷺ . فعن مسروق قال : سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فردت عليه لقد وقف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب. من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب ثم تلت ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [٧٧]. ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [٧٨]. ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [٧٩]. ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم تلت

---

(٧٥) ابن حجر : فتح الباري ، ج٣ ، ص٥٩٩ ، حديث رقم ١٧٧٥ وحديث رقم ١٧٧٦ ، كتاب العمرة .

(٧٦) المصدر السابق والجزء ، ص٥٥١ ، حديث رقم ١٧٠٩ ، كتاب الحج .

(٧٧) القرآن الكريم : سورة الأنعام ، ١٠٣ .

(٧٨) القرآن الكريم : سورة الشورى ، ٥١ .

(٧٩) القرآن الكريم : سورة لقمان ، ٣٤ .

تلت ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٨٠). ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين (٨١)

دأب الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم من بعده على استشارة النساء فيما يحسن من الأمور التي يكون علمهن بها أكثر منهم . فقد يحْدُثُ أن يشكل على الصحابة رضوان الله عليهم حكم يريدون إصداره ، فنجدهم لا يتحرجون من سؤال المرأة إذا كانت على علم بأمر مشابه له . فيسألونها ليكون حكمهم بعد ذلك صحيحاً . مثل ما حدث عندما كتب عبدالله بن عتبة إلى عمر بن عبدالله ابن الأرقم الزهري يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية ويسألها عن حكم رسول الله ﷺ لها حين توفى زوجها ووضعت بعد وفاته مولودها كم كانت عدتها ؟ فقالت : إنها سألت النبي ﷺ أتعتد كما قيل لها أربعة أشهر وعشرة أيام أم تكون عدتها بوضعها . فأجابها رسول الله ﷺ بأنها حلت بوضعها وأمرها بالتزوج إن أرادت (٨٢)

ويبدو أنه لشدة حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التثبت يتشددون أحياناً في الحكم في شأن من شئون المرأة ، فيفطن بعضهم لذلك، ففي الحديث السابق نجد ابن عباس رضي الله عنهما يعقب على المتشددين بقوله : أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها

---

(٨٠) القرآن الكريم : سورة المائدة ، ٦٧ .

(٨١) ابن حجر : فتح الباري ، ج٨ ، ص٦٠٦ ، حديث رقم ٤٨٥٥ ، كتاب تفسير القرآن.

(٨٢) المصدر السابق ، ج٧ ، ص٣١٠ ، حديث رقم ٣٩٩١ ، كتاب المغازي .

الرخصة [٨٣]. لنزول سورة الطلاق وقوله تعالى ﴿ وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [٨٤]

المرأة وعلم المناسك :

إن ما تنطق به النساء في أحكام المناسك يؤخذ به ، خاصةً إذا كن من ذوات العلم والدين ، مثل أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما حجت فنزلت في المزدلفة وقامت تصلى حتى غاب القمر ثم ارتحلت حتى رمت الجمرات فرجعت وصلت الصبح فقال لها مولاها عبدالله : ما أرانا إلا أغلسنا فقالت : إن رسول الله ﷺ أذن للظعن [٨٥]

المرأة وتصحيح الخطأ :

لم يقتصر دور أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على الرد على الاستفسارات التي توجه إليها ، بل تبادر أيضاً إلى تصحيح ما قد تراه من أخطاء يقع فيها بعض الناس ، فقد رأت أناساً طافوا بالبيت بعد صلاة الصبح ثم قعدوا يتذاكرون حتى طلعت الشمس فقالت : " قعدوا حتى إذا كانت الساعة التي يكره فيها الصلاة قاموا يصلون " [٨٦]

---

(٨٣) المصدر السابق ، ج٨ ، ص٦٥٤ ، حديث رقم ٤٩١٠ ، كتاب التفسير .

(٨٤) القرآن الكريم : سورة الطلاق ، ٤ ؛ ابن حجر : فتح الباري ، ج٨ ، ص٦٥٤-٦٥٧ كم نحن بحاجة اليوم إلى الأخذ بقول ابن عباس حتى نعود كما كان عليه سلفنا الصالح .

(٨٥) ابن حجر : فتح الباري ، ج٣ ، ص٥٢٦ ، حديث رقم ١٦٧٩ ، كتاب الحج ؛ (الظعن) المرأة لأنها تظعن مع زوجها وتقيم باقامته كالجليسة . والظغينة الهودج تكون فيه المرأة . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣ ، ص٢٧١ .

(٨٦) ابن حجر : فتح الباري ، ج٣ ، ص٤٨٨ ، حديث رقم ١٦٢٨ ، كتاب الحج .

ولشدة وعي المرأة في العهد النبوي بما يقوله الرسول ﷺ وحرصهن على تطبيقه ، كانت بعض النساء يصححن لأزواجهن ما يقعون فيه من خطأ حتى لو أدى الأمر إلى حنقهم عليهن ، وعندما يراجعون النبي ﷺ يقول : " ما أمرت إلا بخير " (٨٧)

المرأة والمناقشة والمحاورة :

واظب ابن عباس رضي الله عنهما على محاورة ومناقشة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المواقف والأمور التي لم تكن حاضرة فيها لاستطلاع رأيها والاستفادة بما لديها من علم حول ذلك ؟ فقد حدثها بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن صهيباً (٨٨) بعدما أصيب عمر رآه وهو يبكي ويقول : واأخاه واصاحباه فقال له : أتبكى عليّ يا صهيب وقد قال رسول الله ﷺ : " إن الميت ليعذب ببكاء أهله " . فردت عليه بعدما أسمعها هذه المقالة : " رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله ﷺ إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ولكن رسول الله ﷺ قال : " إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه " . وأضافت حسبكم القرآن ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (٨٩) ولم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحده من يستشهد بهذا القول، بل نجد أن

---

(٨٧) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص١٤٨ .

(٨٨) صهيب بن سنان بن مالك كان والده عاملاً لكسرى على الأبله . أغارت الروم على ديارهم فسبى صهيب وهو غلام صغير وتنقل إلى أن بيع بمكة المكرمة ثم اعتق وأسلم لما بعث النبي ﷺ وكان المستضعفين . توفي سنة ٣٨هـ/٦٥٨م ودفن بالبقيع . أنظر ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص٢٢٦-٢٣٠ .

(٨٩) القرآن الكريم : سورة الإسراء ، ١٥ .

عبدالله بن عمرو بن عثمان رضي الله عنهما يقول به أيضاً ، فصحح لهم ابن عباس بناءً على قولها .[٩٠]

فالصحابة رضوان الله عليهم يعلمون يقيناً درجة علو علم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فكان تأييدها لقول بعضهم على بعض كفيلاً برجحان كفة من أيدتهم . فقد حفلت جلسات أصحاب النبي ﷺ بتداول أحاديثه . وكان دورها تأييد أقوالهم بما لديها من علم . وعند ذلك يذعنون للقول الذي أيدته ، فمن ذلك قول أبو هريرة : من تبع جنازة فله قيراط [٩١] فاستكثر ابن عمر ذلك ، فوصل إلى مسامع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها استكثاره . فقالت : " سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك " . قال ابن عمر رضي الله عنهما عندئذ : لقد فرطنا في قراريط كثيرة .[٩٢]

وليس هذا فحسب فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحتكمون إلى قولها للخروج بحكم نهائي . ومثال ذلك سمع زياد بن أبي سفيان قولاً من ابن عباس رضي الله عنهما فلم تطمئن نفسه إليه . فسأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عما قاله ابن عباس من أن من يهدى هدياً حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر هديه . فردت بأن الأمر ليس كما ذكره ابن عباس وقالت له : إنها قلدت قلائد هدى النبي

---

(٩٠) ابن حجر : فتح الباري ، ج٣ ، ص١٥١ ، حديث رقم ١٢٨٦ ، كتاب الجنائز .

(٩١) (قيراط) المقصود بالقيراط هنا ما يعادل وزن جبل أحد . أنظر المصدر السابق : ج٣ ، ص ١٩٤ ، ١٩٦ .

(٩٢) المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٩٢ ، حديث رقم ١٣٢٣ و ١٣٢٤ ، كتاب الجنائز .

ﷺ بيدها وقلد رسول الله هديه بيده ثم بعث بها فلم يُحرم عليه شيء أحله الله حتى نحر الهدى [٩٣]

حرص المرأة على التثبيت من الأحكام :

كانت النساء لا يتحرجن من الذهاب إلى كبار الصحابة رضوان الله عليهم إذا وصل لسمعهن حديثٌ يحدثون الناس به ليتأكدن منه ، بل ويتحاورن معهم ، فقد ذهبت امرأة من بني أسد تسمى أم يعقوب إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وقالت له :" قد بلغني أنك تلعن الواشمات فقال : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ومن هو في كتاب الله فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول قال : لئن قرأتيه لقد وجدته أما قرأت ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [٩٤] . قالت بلى قال : فإنه قد نهى عنه " [٩٥]

---

(٩٣) المصدر السابق والجزء ، ص٥٤٥ ، حديث رقم ١٧٠٠ ، كتاب الحج .

(٩٤) القرآن الكريم : سورة الحشر ، ٧ .

(٩٥) ابن حجر : فتح الباري ، ج٨ ، ص٦٣٠ ، حديث رقم ٤٨٨١ ، كتاب تفسير القرآن .

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية

الإيصاء بالنساء :

كانت المرأة العربية قبل الإسلام تعيش بين نقيضين ، جانب مشرق تمثل في تمتعها بقسط وافر من الحرية والاحترام . فكانت تستشار في مهام الأمور وتشارك الرجل في كثير من الأعمال ، وكانت علاقتها بأهلها على درجة كبيرة من الرقي . ومما يدل على ذلك انتساب العديد من القبائل العربية لأمهاتهم مثل مزينة ومغالة ومذحج [٩٦]

ومما يدل على ذلك أيضاً افتخار الرجل بنسبه لأمه كافتخاره بنسبه لأبيه وكان الشعراء يستهلون قصائدهم بذكرها [٩٧]. وكان منهم من يعتز بأن يكنى باسم إحدى بناته. كزهير بن أبي سُلمى [٩٨]. والنابغة الذبياني الذي كان يكني بأبي أمُامة [٩٩]. كما لم يجدوا بأساً

---

(٩٦)القلقشندي ، أبو العباس ، أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص٣٠ ، ١٦٣ ، ٣٧٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان . د.ت ؛ كحالة : أعلام النساء ، ج٥ ، ص٥٠ ، ٢٣٤ .

(٩٧) حسن ، حسن إبراهيم :تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج١ ، ص ٦٤-٦٥ ، مكتبة النهضة ، ط١، ١٩٦٤م .

(٩٨) زهير بن أبي سُلمى ربيعة بن رياح المزني من مضر حكيم الشعراء في الجاهلية ، كان أبوه وخاله وابناه شعراء وكذلك أخته.كان ينظم القصيدة في شهر ويهذبها في سنة ، لذا سميت قصائده الحوليات توفي عام ١٣ق _ هـ/٦٠٩م .أنظر الزركلي ، خير الدين : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج٣ ، ص٥٢، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط ، ١٩٧٦م.

(٩٩)النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ، أبو أُمامة شاعر جاهلي من أهل الحجاز ، كان الشعراء يعرضون عليه شعرهم في سوق عكاظ ليحكم لهم. عمر طويلاً توفي نحو ٨ق _هـ/٦٠٤م . انظر المرجع السابق والجزء، ص٥٤-٥٥ .

بالانتساب لأمهاتهم دون آبائهم مثل ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء [١٠٠]. وماء السماء لقب أمه لقبت به لجمالها [١٠١] وكذلك عمرو ابن المنذر المعروف بعمرو بن هند [١٠٢]. نسبة لأمه بنت عمرو بن حجر [١٠٣]. وقصته المشهورة مع الشاعر عمرو بن كلثوم وأمه [١٠٤]

أما الجانب السيئ والذي استقبحه الإسلام ونهى عنه فعادة وأد البنات مخافة الفقر والمذلة والعار ، وإن لم يكن هذا الأمر شائعاً عند كل العرب .وقد أنزل الله تعالى في هذا الشأن ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [١٠٥]. وقد عُرف عن العرب ميلهم إلى إنجاب الذكور بحكم البيئة لاعتمادهم عليهم في الصيد والغزو وامتداد النسب. لذا

---

(١٠٠)المنذر بن امرئ القيس الثالث بن النعمان الأسود اللخمي وماء السماء أمه سميت به لحسنها ، كان ثالث ملوك الحيرة ومن أرفعهم شأناً وأشدهم بأساً بني العديد من المباني المشهورة بالحيرة . مات قتيلاً في حرب مع الغساسنة نحو ٦٠ق _ هـ/٥٦٤م. انظر الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٨٦ ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت؛ ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص٢٥٨ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٧ ، ص٢٩٢ .

(١٠١) الزركلي : الأعلام ، ج٧ ، ص٢٩٢ .

(١٠٢) عمرو بن المذر أو عمرو بن هند بن امرئ القيس ويعرف بمضرط الحجارة ومحرق . أمه هند بنت عمة امرئ القيس الشاعر بنت عمرو بن حجر الكندى آكل المرار . قضي حياته يحارب العرب والروم قتل على يد عمرو بن كلثوم عام ٥٥ق _هـ/٥٧٤م . غضباً لأمه. أنظر ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص٣٣٠-٣٣١ ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج١ ، ص٢٤١ .مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د.ت .

(١٠٣) سالم : دراسات في تاريخ العرب ، ص٣٩٥-٣٩٦ .

(١٠٤) أنظر تمام القصة في ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص٣٣٠-٣٣١ .

(١٠٥) القرآن الكريم : سورة التكوير ، ٨-٩ .

كانت البنات في منزلة أدني [١٠٦]. أما في الأمم الأخرى فكانت المرأة فاقدة الأهلية ، وتحت الوصاية الدائمة من أب أو أخ أو زوج ، وهي في جميع حالاتها موروثة لا وارثة [١٠٧]

ولما كان الإسلام ديناً عاماً للناس كافة ، فقد جاء ليرفع الظلم عن المرأة سواء عند الأمة العربية أو الأمم الأخرى . إذ جعل الإسلام قضيتها في مقدمة القضايا الاجتماعية التي عالجها من جذورها ، فأعلن انسانيتها وأعطاها كامل حقوقها وكرمها وساوى بينها وبين الرجل في التكاليف الشرعية والانسانية [١٠٨]. بعد أن كانت في الامم السابقة سقط متاع . فهي في الإمبراطورية الساسانية مباحة. وفي الهند لا قيمة لها ولا عصمة فربما يخسر الرجل زوجته في قمار ، وإذا مات زوج المرأة أصبحت كالموؤدة لا تتزوج ولا تستحق احتراماً ، وانتشرت عادة إحراق الأيامى إظهاراً للوفاء وفراراً من الشقاء . أما في أوروبا فكانوا يبحثون هل المرأة حيوان أم إنسان ، لها روح خالدة أم ليس لها روح خالدة ، وهل لها حق الملكية ، والبيع والشراء ، أم ليس لها شيء من ذلك [١٠٩].

---

(١٠٦) سالم : العرب قبل الإسلام ، ص٣٩٥-٣٩٦ .

(١٠٧) حوى ، سعيد : الرسول ﷺ ، ج٢ ، ص١٧١-١٧٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط٤ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ؛ عبدالعزيز ، عزة : المرأة المسلمة ودورها في المجتمع الإسلامي والإنساني ، ص١١ ، دار المرجان للطباعة ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(١٠٨) عبدالعزيز ، المرأة المسلمة ، ص١١ .

(١٠٩) البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، ص٤٦٩-٤٨١ ، عالم الكتب _ بيروت ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م ؛ الندوى : أبو الحسن علي الحسني : السيرة النبوية ، ص٣٣ ، ٤١، ٣٧ ، عُنى بطبعه ومراجعته عبدالله

تفاوتت معاملة المرأة في الجزيرة العربية من منطقة لأخرى ، إذ نجد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : " كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني فقالت : ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل "[١١٠].

وفي رواية قال: " إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم قال : فبينما أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي : لو صنعت كذا وكذا قال : فقلت لها : مالك ولما ههنا فيما تكلفك في أمر أريده فقالت لي : عجباً لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع وأن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان"[١١١]

ويفهم من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن للمرأة أن تعبر عن رأيها وتعترض إذا لم يعجبها أمر في المجتمع المدني ، وعد ذلك من آدابهم .

ومهما يكن من أمر فالرسول ﷺ أوصى بالنساء عموماً فقال : " استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع وإن اعوج شيء في الضلع

بن إبراهيم الأنصاري ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا _ بيروت ، ط ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

(١١٠) ابن حجر : فتح الباري ، ج٥ ، ص١١٤ ، حديث رقم ٢٤٦٨ ، كتاب المظالم .

(١١١) المصدر السابق ، ج٨ ، ص٦٥٧ ، حديث رقم ٤٩١٣ ، كتاب تفسير القرآن .

أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً " [١١٢]. ونلحظ أنه عليه السلام بدأ حديثه وختمه بالاستيصاء بالنساء إمعاناً في الوصية .كما حذر عليه السلام من ضربهن فقال : " لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد " [١١٣]. وفي رواية " لم يضرب أحدكم ضرب الفحل " [١١٤]

هناك العديد من أقواله عليه السلام تحث على حُسن معاملة المرأة . أما أفعاله فتؤكد ما أمر به وهي تطبيق عملي على ذلك ، وفي نفس الوقت توضح رأفته وشفقته عليهن . ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في سفر ومعه بعض نسائه ومعهن أم سليم [١١٥]. وكان سائق الإبل يسرع في مشيه فقال عليه السلام : " ويحك يا أنجشه رويدك سوقاً بالقوارير " [١١٦]

كما نهى عليه السلام أن ينال الرجل من أم أحد ، فقد أَنَّبَ أباذر رضي الله عنه قائلاً: " إنك امرؤ فيك جاهلية " . حينما وصل إلى سمعه أنه عير رجلاً بأمه الأَعجمية [١١٧]

---

(١١٢) المصدر السابق ، ج٩ ، ص٢٥٣ ، حديث رقم ٥١٨٦ . كتاب النكاح .

(١١٣) المصدر السابق والجزء ، ص٣٠٢ ، حديث رقم ٥٢٠٤ . كتاب النكاح .

(١١٤) المصدر السابق ، ج١٠ ، ص٤٦٣ ، حديث رقم ٦٠٤٢ ، كتاب الأدب .

(١١٥) أم سليم بنت ملحان كانت تغزو مع رسول الله ﷺ وكانت من عقلاء النساء . انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٣٤٥ .

(١١٦) ابن حجر : فتح الباري ، ج١٠ ، ص٥٣٨ ، حديث رقم ٦١٤٩ ، كتاب الأدب .

(١١٧) المصدر السابق والجزء ، ص٤٦٥ ، حديث رقم ٦٠٥٠ ،كتاب الأدب .

وكان عليه السلام يذكر محاسن النساء ودرجاتهن فقال : " كمل من الرجال كُثر ولم يكمل من النساء إلا (مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون) وفضل عائشة على النساء ، كفضل الثريد على سائر الطعام " (١١٨)

لم يستنكف الرسول ﷺ أن يصرح ويعلن حبه لزوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للجميع ويكون بذلك حديثاً يروى ، إذ ليس في ذلك بأس فهو القدوة لرجال أمته فيطبق بذلك عملياً ويريهم أن ذلك ليس بعيب ولا عار عليه . فقد روى عن عمرو بن العاص أنه سأل الرسول ﷺ " أي الناس أحب إليك قال : عائشة قلت : من الرجال قال : أبوها " (١١٩)

وقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ شدة محبته لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فكان مسروق عندما يحدث عنها يقول:"حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة " (١٢٠)

وبعد هذا حذا أصحاب رسول الله ﷺ حذوه في الشفقة على النساء ، بعد أن وعوا أقواله وأفعاله فطبقوا ما أمر به ، فهذا عبدالله بن عمر

---

(١١٨) المصدر السابق ، ج٩ ، ص٥٥١ ، حديث رقم ٥٤١٨ ، كتاب الأطعمة .

(١١٩) المصدر السابق ، ج٧ ، ص١٨ ، حديث رقم ٣٦٦٢ ، كتاب فضائل أصحاب النبي .

(١٢٠) المصدر السابق ، ج٨ ، ص٧٤ ، حديث رقم ٤٣٥٨ ، كتاب المغازي .

رضي الله عنهما كان في سفر بطريق مكة المكرمة فبلغه مرض صفية بنت أبي عبيد [١٢١]. فأسرع في السير حتى يوصلها لتتداوى .[١٢٢] لم تقتصر رأفته عليه السلام ورحمته على النساء المسلمات فحسب ، بل تعدت إلى المشركات أيضاً فقد روى أنه غضب ونهى عن قتل النساء والصبيان عندما رأى امرأة مقتولة في بعض مغازيه [١٢٣]

ضرب عليه السلام أروع الأمثلة في حنانه على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، إذ أوقف جيشه عن المسير في بعض مغازيه بسبب عقد فقدته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ليبحثوا لها عنه ، وكانوا بموقع لا ماء فيه وأصبح الناس ولا ماء لوضوئهم . فأنزل الله تعالى آية التيمم فتيمموا ، وعندما تحرك بعير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وجدوا العقد تحته وقال لها الصحابي أسيد بن حُضير[١٢٤] : " ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر " . وفي رواية " جزاك الله خيراً فوا الله

---

(١٢١) صفية بنت أبي عبيد أخت المختار بن أبي عبيد الثقفي . أدركت رسول الله ﷺ وهي زوجة عبدالله بن عمر رضي الله عنهما . انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص١٧٤ .

(١٢٢) ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص١٣٩ ، حديث رقم ٣٠٠٠ ، كتاب الجهاد والسير .

(١٢٣) المصدر السابق والجزء ، ص١٤٨ ، حديث رقم ٣٠١٥ ، كتاب المغازي والسير .

(١٢٤) أسيد بن حضير بن سماك يكني أبا يحي وقيل أبا عيسى كناه بها النبي ﷺ وكان أبوه فارس الأوس في حروبهم مع الخزرج. أسلم أسيد على يد مصعب بن عمير بعد العقبة الأولى وقبل الثانية . وشهدها وكان نقيباً لبني عبدالأشهل . وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الكريم وأحد العقلاء وأهل الرأي في بيعة أبي بكر وله أثر عظيم فيها توفي في شعبان عام ٢٠هـ/٦٤٠م . أنظر ابن سعد : الطبقات ، ج٣ ، ص٦٠٣-٦٠٧ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج١ ، ص١١١-١١٣ .

ما نزل بكِ أمر تكرهينه إلا جعل الله ذلك لكِ وللمسلمين فيه خير" .
(١٢٥)

فهل بعدما ذكر من قول الرسول ﷺ وفعله بالوصية بحق المرأة وحُسن معاملتها شيء تريد المرأة في العصر الحديث أن تضيفه ، اعتقاداً منها أن الكتاب والسنة لم يرد بما تريده هي ، وحاشا أن يكون ذلك . وإنما هي جاهلية عصرية وسوء فهم لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، أضف إليه تبعية عمياء لكل ما يرد من الغرب .

صون المرأة بالحجاب :

حرص الإسلام على صون المرأة من أن يخدش حياؤها فضلاً عن رؤيتها إذ نجد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يكرر على رسول الله ﷺ بضرورة حجب نسائه فلم يفعل ، وحدث أن خرجت أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها في إحدى الليالي إلى المناصع [١٢٦] . وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عرفناك يا سودة حرصاً منه على أن ينزل الحجاب ، فأنزل الله تعالى بعدها آية الحجاب [١٢٧] . والمرأة في جميع أحوالها في ذلك الوقت كانت

---

(١٢٥) ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص٤٣١ ، حديث رقم ٣٣٤ ، كتاب التيمم .

(١٢٦) (المناصع) : مترز النساء بالمدينة المنور ليلاً . قبل اتخاذ الكنف بالبيوت على مذاهب العرب وهو ناحية بئر أبي أيوب : أنظر السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، ج٤ ، ص١٣١٣ ، تحقيق وتفصيل وتعليق حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان ، ط٤ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(١٢٧) ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص٢٤٨ ، حديث رقم ١٤٦ ، كتاب الوضوء .

تسارع لتنفيذ أمر الله تعالى بمجرد نزول شيء بشأنها ، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله تعالى ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [١٢٨] شققن مروطهن [١٢٩] فاختمرن به "[١٣٠]

علو قدر المرأة :

وصلت المرأة في العهد النبوي إلى درجة كبيرة من علو القدر ورفعة الشأن ، ومما يدل على ذلك أمور منها :

أ _ المرأة الزوجة :

_ مساندة المرأة زوجها ومواساتها له بنفسها ومالها والوقوف إلى جانبه . إذ كان للمرأة دور منذ بداية العهد النبوي ، وخير مثال هو دور أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ ، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بداية نزول الوحي على النبي ﷺ وموقف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من خوفه وفزعه الذي بدا عليه، فشدت من أزره وخففت عنه ما يجد حتى ذهب روعه وقالت له :

---

(١٢٨) القرآن الكريم : سورة النور ، ٣١ .

(١٢٩) (مروط) المرط كساء من خز أو صوف أو كتان وقيل هو الثوب الأخضر وجمعه مروط ، والمرط كل ثوب غير مخيط . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ٧ ، ص٤٠١-٤٠٢ .

(١٣٠) ابن حجر : فتح الباري ، ج٨ ، ص٤٨٩ ، ٤٩٠ ، حديث رقم ٤٧٥٩ ، كتاب تفسير القرآن .

" والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق " (١٣١)

ولم تنطق أم المؤمنين خديجة هذا الكلام جزافاً ، فهي أعرف الناس بأخلاقه لمكانتها منه وعشرتها له ، حيث عرفت من شمائله وأخلاقه الشيء الكثير ، فقد كانت رضي الله عنها سيدة عاقلة فاضلة اعتمدت على التحليل العقلي السليم وفطرتها الصحيحة وعلى تجاربها في الحياة ومعرفتها للناس (١٣٢). فلم تكتف بالقول فقد بثت في نفسه الطمأنينة وذهبت إلى أبعد من ذلك لتؤكد له أنه لن يصيبه سوء فاستعانت بمن له خبرة ، إذ ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان شيخاً كبيراً قد تنصر فقالت له : " اسمع من ابن أخيك " . فأخبره الرسول ﷺ ما حصل له فرد عليه : " هذا الناموس الذي نزل على موسى " (١٣٣)

لقد تبوأت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها مكانة عالية فهي بحق وزير الصدق للإسلام . إذ كان عليه السلام يشكو لها ما يجد وتخفف عنه بمالها ونفسها ، وبعد وفاتها تتابعت على رسول الله ﷺ المصائب والصعاب (١٣٤). إلى أن أظهره الله تعالى ، فهي أول من آمن به

---

(١٣١) المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٢ ، حديث رقم ٣ ، كتاب بدء الوحي .

(١٣٢) الندوي : السيرة النبوية ، ص١٣٢-١٣٣ .

(١٣٣) ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص٥٢ ، حديث رقم ٣ ، كتاب بدء الوحي ، ج٨ ، ص ٧١٥ ، حديث رقم ٤٩٥٣ ، كتاب تفسير القرآن ، ج١٢ ، ص٣٥١ ، حديث رقم ٦٩٨٢ ، كتاب التعبير .

(١٣٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤١٦ .

وصدقته ، ووازرته وآزرته . فكان لوجودها بجانبه أعظم الأثر في شد عضده . فموقفها موقف المبادر لتصديق كل ما يقول بإيمان وتهون عليه أمر الناس [١٣٥]

فأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها كان لها موقفها المتميز وشخصيتها الإيجابية فقد كانت تنكر على أهل مكة المكرمة ما ينكره أهل الفطرة السليمة والأذهان المستقيمة فهي على علم بظهور نبي في ذلك الوقت ، سمعت بالنبوة والأنبياء والملائكة ، علاوة على أن غلامها ميسرة أخبرها بحال رسول الله ﷺ عندما ذهب معه في تجارة لها إلى الشام وما قاله عنه الراهب . فسارعت بذكر ذلك كله لابن عمها ورقة بن نوفل الذي قال لها : " لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبيّ هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه " [١٣٦]

فهذا دور المرأة وهي زوجة تساند زوجها وتواسيه بنفسها ومالها وتهون عليه ما يجد من تكذيب الناس له . فقد كان النبي ﷺ يعرف لها حقها ويعترف بفضلها حتى بعد وفاتها ، فقد روى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولها : " ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء . ثم يبعثها في صدائق خديجة وربما

---

(١٣٥) المصدر السابق والجزء ، ص٢٤٠ .

(١٣٦) المصدر السابق والجزء ، ص١٨٨ ؛ الندوي : السيرة النبوية ، ص١٣٢-١٣٣ .

قلت له : كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول : " إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد " (١٣٧)

ب_ سلام الملائكة على المرأة :

_ ومنها أن جبريل عليه السلام كان يقرئ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها السلام فترد عليه سلامه (١٣٨)

ج_ سؤال المرأة للتحقق من الشخصيات :

ومنها أن الرسول ﷺ كان عندما يسمع أحياناً صوت أحد من الصحابة رضوان الله عليهم يصلى في المسجد ويريد التثبت من شخصيته يسأل أم المؤمنين عائشة أهو هو (١٣٩)

د _ مساعدة المرأة الأجنبية :

إعانة المرأة وإزالة عثرتها . عندما يتطلب الأمر مد يد العون للمرأة الأجنبية يهب الرجل لمساعدتها فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان على راحلة ومردف معه أم المؤمنين صفية رضي الله عنها فعثرت الراحلة ووقع النبي ﷺ وأم المؤمنين صفية رضي الله عنها على الأرض ، فأسرع أبو طلحة (١٤٠) ليطمئن على رسول الله ﷺ وسأله هل أصابه شيء فقال : لا ولكن عليك بالمرأة فالقي أبو طلحة رداءه

---

(١٣٧) ابن حجر : فتح الباري ، ج٧ ، ص١٣٣ ، حديث رقم ٣٨١٨ ، كتاب مناقب الأنصار .

(١٣٨) المصدر السابق ، ج١١ ، ص٣٨ ، حديث رقم ٦٢٥٣ ، كتاب الاستئذان .

(١٣٩) المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٦٤ ، حديث رقم ٢٦٥٥ ، كتاب الشهادات .

(١٤٠)زيد بن سهل بن الأسود بن حرام ، شهد العقبة والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ ، توفي عام ٣٤هـ/٦٥٤م قيل بالمدينة المنورة وقيل في غزوة في البحر . أنظر ابن سعد : الطبقات، ج٣ ، ص٥٠٤-٥٠٧.

على وجهه وقصدها ليساعدها ، فلما قرب منها القي ثوبه عليها وأقامها [١٤١]. فنجد أن كل ما يخص المرأة له آدابه التي وعاها الجميع

هـ _ حفظ حق القصاص للمرأة :

أن الله تعالى قد حفظ للمرأة القتيلة حقها في القصاص من قاتلها ، إذ نفذ النبي ﷺ حكم القصاص في رجل يهودي قتل امرأة [١٤٢]

و _ حفظ القرآن الكريم لدى المرأة كأمانة :

ومنها إيداع القرآن الكريم ، وهو المصدر الأول للشريعة الإسلامية عند أم المؤمنين حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها مع وجود الجمع الغفير من كبار صحابة رسول الله ﷺ ، فنجدهم يأمنون عليه لديها ويبقى عندها إلى وفاتها ، حتى أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يستأذنها في أخذه للنسخة الوحيدة الموجودة عندها ليستنسخها ومن ثم يردها إليها [١٤٣] وهذه لا يعدلها شيء في الرفعة وعلو القدر والمنزلة.

أما المصدر الثاني للشريعة الإسلامية ، فيوجد في كتب التراجم ، تراجم لجمع كبير من النساء اللاتي أخذ عنهن أئمة الحديث الأعلام . ومنهن من كان بموتها تنزل رواية الحديث درجة [١٤٤]

---

(١٤١) ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص١٩٣ ، حديث رقم ٣٠٨٦ ، كتاب الجهاد والسير .

(١٤٢) المصدر السابق ، ج١٢ ، ص٢١٣ ، حديث رقم ٦٨٨٤-٦٨٨٥ ، كتاب الديات . لم تحدد شخصية القتيلة في الكتب .

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص٥٥-٥٦ .

(١٤٤) السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج٦ ، ص١٠١، ٩١، ٨١ ، دار الجيل، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ؛ كحالة : أعلام النساء ، ج١ ، ص٤١ .

ز _ الوساطة لدى المرأة :

_ ومنها الاستشفاع إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : إذ يؤثر عنها كثرة صدقاتها ، فكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها إلا وتتصدق به، فلما بلغ عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ذلك قال: ينبغي أن يؤخذ على يديها ، وكان من أحب الناس إليها بعد النبي ﷺ وأبوبكر رضي الله عنه ، فلما بلغها قوله قالت: أيؤخذ على يدي ؟ على نذر إن كلمته فكانت بعدها لا تسمح له بالدخول عليها أو التحدث معها ، فاستشفع إليها برجال من قريش وبأخوال رسول الله ﷺ فامتنعت فمازال حتى رضيت عنه [١٤٥]

ح _ دخول الشعراء على المرأة :

ومنها استئذان الشعراء على أمهات أم المؤمنين لينشدونهن الشعر ، فقد دخل حسان بن ثابت رضي الله عنه على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ليسمعها مدحه لها فأنشدها :

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثي من لحوم الغوافل [١٤٦]

ط _ بلوغ المرأة درجات عالية من العلم :

_ ومنها سجلت كتب السير والتاريخ أسماء مسلمات بلغن درجة عالية في العلم ، ومنهن عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة ، روت عن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وروى عنها الزهري . وكانت عالمة بل وأعلم نساء زمانها، وقد كتب الخليفة عمر بن

---

(١٤٥) بن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص٥٣٣-٥٣٤ ، حديث رقم ٣٥٠٥ ، كتاب بدء الخلق .

(١٤٦) المصدر السابق ، ج٧ ، ص٤٣٦ ، حديث رقم ٤١٤٦ ، كتاب المغازي .

عبدالعزيز إلى أبي بكر بن محمد بن حزم يكتب ما لدى عمرة من علم لأنه خشى دروس العلم بذهاب أهله (١٤٧)

بعض حقوق المرأة وعملها :

حفظ الإسلام حقوق المرأة بعد أن كانت نسياً منسياً وبعد أن كان لاحق لها فمن ذلك :

_ النهي بنص القرآن الكريم عن نكاح اليتيمة التي لا يقسط لها في صداقها قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى ﴾ (١٤٨). وبينت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها . المراد من ذلك ، وهي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها ويريد أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها (١٤٩)

_ كما نهى الإسلام عن توارث زوجة المتوفى وعضلها ، أي منعها من الزواج إن أرادت ذلك فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ (١٥٠). فذكر ابن عباس رضي الله عنهما تفسير هذه الآية وسبب نزولها . أنهم كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها أو شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها (١٥١). فنزلت هذه الآية فاصلة لضمان

---

(١٤٧) ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص٤٨٠ .

(١٤٨) القرآن الكريم : سورة النساء ، ٣ .

(١٤٩) ابن حجر : فتح الباري ، ج٥ ، ص١٣٣ ، حديث رقم ٢٤٩٤ ، باب المظالم .

(١٥٠) القرآن الكريم : سورة النساء ، ١٩ .

(١٥١) ابن حجر : فتح الباري ، ج٨، ص٢٣٩ ، حديث رقم ٤٥٧٦ ، كتاب تفسير القرآن.

حق المرأة في تقرير ما تريده فالإسلام عموماً جاء ليصحح الكثير من المفاهيم والمواقف السلبية ضد المرأة ، ويبين إنسانيتها وأهليتها مما شاع في الجاهلية.

_ ومن حقوقها حق اختيار الزوج : إذ كفل لها الإسلام حق اختياره وحق رد النكاح إن كانت كارهة فقد روت خنساء بنت خدام الأنصارية [١٥٢]. أن أباها زوَّجها وهي كارهة فشكت ذلك للنبي ﷺ فرد نكاحها [١٥٣]

_ كما كفل الإسلام للمرأة حق التفريق بينها وبين زوجها إن كرهت عشرته . وهو ما حدث لامرأة ثابت بن قيس ، حين فرق عليه السلام بينهما على شرط أن ترد له مهره [١٥٤]

_ ولم يقتصر الأمر على هذا فمن حقوقها أيضاً إمضاء رغبتها ورفض أي شفاعة أو وساطة حتى ولو كانت من رسول الله ﷺ نفسه . فنجد بريرة ترفض عودتها لزوجها مغيث بعد عتقها بالرغم من شفاعة الرسول ﷺ في عودتها له شفقة عليه . فأبت فأقر عليه السلام رفضها وأمضاه [١٥٥]

_ كذلك ثبت للمرأة حق الإجارة مثل أم هاني بنت أبي طالب رضي الله عنها ، إذ أجارت أحد قرابة زوجها يوم فتح مكة المكرمة

---

(١٥٢)خنساء بنت خدام بن خالد الأنصارية من بني عون وقيل خنساء بنت خدام بن وديعة . انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦، ٨٨ .

(١٥٣) ابن حجر : فتح الباري ، ج٩ ، ص١٩٤ ، حديث رقم ٥١٣٨ ، كتاب النكاح .

(١٥٤) المصدر السابق والجزء ، ص٣٩٥ ، حديث رقم ٥٢٧٣ ، كتاب الطلاق .

(١٥٥) المصدر السابق والجزء ، ص٤٠٨ ، حديث رقم ٥٢٨٣ ، كتاب الخلع .

فأمضى الرسول ﷺ إجارتها [١٥٦]. وكذلك إجارة ابنة الرسول ﷺ زينب رضي الله عنها لزوجها أبى العاص بن الربيع وقبول إجارتها أيضاً [١٥٧]

_ كما ثبت للمرأة أن يشهد الرجل لها من وراء ستر، وإن عرفها ، وإن لم يعرفها لم يشهد [١٥٨]

_ نَعِمَتْ النساء بحرية مطلقة في التنقل والذهاب للمسجد وشهود جماعة المسلمين متحجبات لا يعرفن . وكان عليه السلام يراعي وضعهن فيمكث بعد الصلاة قليلاً في مصلاه ويبقى معه أصحابه رضوان الله عليهم حتى يتسنى لهن الوصول إلى منازلهن دون اختلاط بالرجال أثناء خروجهن من المسجد [١٥٩]. تأدباً وحشمة لها ، بل كان عليه السلام ينهى أصحابه من منع نسائهم الذهاب إلى المسجد [١٦٠]. متى ما أردن لما في ذلك من خير لهن من حيث سماعهن القرآن الكريم والتفقه في الدين . فقد أخذت أم هشام بنت حارثة [١٦١]. سورة (ق) من

---

(١٥٦) المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٦٩ ، حديث رقم ٣٥٧ ، كتاب الصلاة .

(١٥٧) ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص٣١-٣٢ .

(١٥٨) ابن حجر : فتح الباري ، ج١٣ ، ص١٤٠ ، كتاب الأحكام .

(١٥٩) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٥٠-٢٥١ ، حديث رقم ٨٧٠ ، كتاب الصلاة .

(١٦٠) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٨٢، ٣٥١ ، حديث رقم ٨٧٣ و ٨٩٩ ، كتاب الصلاة.

(١٦١) أم هاشم وقيل أم هشام بنت حارثة بن النعمان الأنصارية بايعت بيعة الرضوان عام ٦هـ/ ٦٢٧م وروى عنها عبدالرحمن بن سعد وخبيب بن عبدالرحمن وعمره . أخذت سورة (ق) من الرسول ﷺ . انظر ابن الأثير: أسد الغابة، ج٦، ص٤٠٣ .

فم الرسول ﷺ مباشرة فقد كان يقرأ بها كل جمعة في خطبته [١٦٢].

وأي خير أعظم من التفقه في الدين ، فالمسجد في ذلك الوقت كان مجلس علم عام لا يقتصر على فئة دون أخرى .

لقد فهم الرجال والنساء على السواء أمر الرسول ﷺ هذا ، حتى أن زوجة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه سئلت عن ذهابها إلى المسجد وهي تعلم غيرة عمر فقالت : فليمنعني إن أراد فقيل لها : لا يستطيع لأمر الرسول ﷺ بالإذن للنساء في الذهاب للمسجد [١٦٣]. كما حرصت النساء أيضاً على شهود الأعياد جميعها [١٦٤]

_ وللمرأة أيضاً حق تنبيه الإمام إذا أخطأ بالتصفيق ، بينما خص الرجال بالتسبيح [١٦٥]

أعمال المرأة :

عملت المرأة في كافة الأعمال المناسبة لطبيعتها ، منها على سبيل المثال:

البيع والشراء :

_ حقها في البيع والشراء فللمرأة حق شراء العبيد وبيعهم أو عتقهم فقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تفعل ذلك [١٦٦]. كما تخصص

---

(١٦٢) ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص٤٨٣ ، حديث رقم ٣٧٢ ، كتاب الصلاة ، ج٢ ، ص ٥٤ ، حديث رقم ٥٧٨ ، كتاب الصلاة ؛ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل : تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص٣٢٠-٣٢٢ ، دار الفكر ، بيروت _ لبنان ، د.ت .

(١٦٣) ابن حجر : فتح الباري ، ج٢ ، ص٣٨٢ ، حديث رقم ٩٠٠ ، كتاب الصلاة .

(١٦٤) المصدر السابق والجزء ، ص٤٦١ ، حديث رقم ٩٧١ ، ٩٧٤ ، كتاب الصلاة .

(١٦٥) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٧٧ ، حديث رقم ١٢٠٣ _ ١٢٠٤ ، كتاب الصلاة .

(١٦٦) المصدر السابق ، ج٩ ، ص٤١٠ ، حديث رقم ٥٢٨٤ ،كتاب الخلع .

بعض النساء في بيع العطور التي كانت تجلب لهن من اليمن ويقمن بتسويقها وبيعها بين النساء في المدينة المنورة [١٦٧]

نظافة المسجد : كانت هناك امرأة [١٦٨] على عهد النبي ﷺ تتعهد المسجد بالنظافة ولم ينكر عليه السلام عليها ذلك ، بل لقد حزن لوفاتها ولام أصحابه على عدم إعلامه بموتها بعد أن افتقدها ، وذهب لقبرها وصلى عليها [١٦٩]. كما كانت أم محجن [١٧٠] تلتقط القذى من المسجد [١٧١]

الصناعات اليدوية الخفيفة : منها الخرازة [١٧٢]. والنسيج [١٧٣]. والدباغة وقد كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها ممن كن يعملن بأيديهن ويتقن عملهن [١٧٤]. كما كانت أم المؤمنين سودة رضي الله عنها تعمل في الأديم الطائفي بكل اقتدار [١٧٥]. وملكت بعض

---

(١٦٧) ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص٣٠٠ .

(١٦٨) لم تحدد المصادر اسمها أو هويتها وكل ما ذكر عنها أنها امرأة سوداء . انظر ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص٥٥٢-٥٥٣ .

(١٦٩) المصدر السابق والجزء ، ص٥٥٢-٥٥٣ ، حديث رقم ٤٥٨ ، كتاب الصلاة .

(١٧٠) أم محجن وقيل محجنة كانت تقوم بنظافة المسجد . أنظر ابن حجر : الإصابة ، ج٤ ، ص٤٠٦-٤٠٧ .

(١٧١) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٣٩١ .

(١٧٢) ابن حجر : فتح الباري ، ج٨ ، ص٢١٣ ، حديث رقم ٤٥٥٢، كتاب تفسير القرآن.

(١٧٣) المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٤٣ ، حديث رقم ١٢٧٧ ، كتاب الجنائز ،ج٤ ، ص٣١٨ ، حديث رقم ٢٠٩٣ ، كتاب البيوع .

(١٧٤) ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص١٠٨، ١٠٣ ؛ ابن حجر : الإصابة ، ج٤ ، ص٣١٤.

(١٧٥) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٨٨ .

النساء الصناع المهرة كالنجارين ، فقد أمرت امرأة منهن صانعها بعمل منبر للنبي ﷺ حين طلب منها عليه السلام ذلك [١٧٦]

الطباخة : احترفت بعض النساء الطباخة مهنة لهن فقد ذكر سهل بن سعد رضي الله عنه وجود امرأة تخصصت في طبخ نوع معين من الطعام تصنعه كل يوم جمعه ولشدة لذته كانوا يتمنون أن تكون جميع الأيام يوم جمعه [١٧٧]

صنع القِرب : من أشهر من عملت في صناعة القِرب من النساء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأم سليم ، وكان عملهن هذا خاصة في وقت الغزوات [١٧٨]

_ صناعة الغزل والخوص : أخذ بعض النساء جزءاً من المسجد يقمن فيه بصناعة الغزل والخوص فيه بحرية تامة ولا ينكر عليهن رسول الله ﷺ ذلك ، بل واستمر عملهن هناك إلى جزء من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [١٧٩]

---

(١٧٦)لقد نسى راوي الحديث اسم المرأة ولم يحددها .أنظر ابن حجر : فتح الباري ، ج٢ ، ص٣٩٧ ، حديث رقم ٩١٧ ، كتاب الجمعة .

(١٧٧)لم يتم تحديد هوية المرأة .أنظر المصدر السابق والجزء ، ص٤٢٧ ، حديث رقم ٩٣٨ ، كتاب الجمعة .

(١٧٨) المصدر السابق ، ج٦ ، ص٧٨ ، حديث رقم ٢٨٨٠ ، كتاب الجهاد والسير .

(١٧٩)بدأت خلافة عمر بن الخطاب رضي اله عنه عام ١٣هـ/٦٣٤م وانتهت عام ٢٢هـ/٦٤٢م . أنظر ابن سعد : الطبقات، ج٨ ، ص٢٩٦ ؛ج٣ ، ص٢٧٤ ، ٣٦٥ .

غسل الموتى وتجهيزهن : اختصت أم عطية بغسل الموتى (المتوفيات وتجهيزهن) [١٨٠]. فقد كان هذا أيضاً ضمن الأعمال التي كانت تقوم بها المرأة .

الأعمال المنزلية : قامت المرأة في العهد النبوي بجميع أعمال منزلها . ففاطمة الزهراء رضي الله عنها كانت تطحن بالرحى حتى أثر في يديها [١٨١]. أما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فكانت تقوم بنقل النوى من أرض زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه إلى منزلها وكانت المسافة تقدر بثلثي فرسخ [١٨٢]. كما كانت تعلف فرس زوجها وتسقى الماء وتخيط القرب وتعجن . ولما رأى والدها ما تلقى أرسل لها خادماً يقوم على شئون الفرس فقط فقالت : " فكأنما اعتقني " [١٨٣]. لما أحست من الراحة .

ولشدة حرص المرأة في العهد النبوي على خدمة بيتها والقيام بشئون زوجها نجد امرأة هلال بن أمية [١٨٤]. أحد الثلاثة المخلفين عن غزوة

---

(١٨٠) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٣٦٨ .

(١٨١) ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص٢١٥-٢١٦ ، حديث رقم ٣١١٣ ، كتاب الجهاد والسير .

(١٨٢) (الفرسخ) : يساوي ثلاثة أميال . انظر أحمد ، رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، ص٦١ ، تابع هامش ١ ، دار البيان العربي ، د.ت .

(١٨٣) ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص٢٥٢ ، حديث رقم ٣١٥١ ، كتاب فرض الخمس .

(١٨٤) هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأوسي الأنصاري شهد بدراً عام ٢هـ/٦٢٣م واحداً عام ٣هـ/٦٢٤م وكان قديم الإسلام وأحد الثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع فأنزل الله تعالى بعد ذلك توبتهم . أنظر ابن الأثير: أسد الغابة ، ج٥ ، ص٦٣٠-٦٣١ .

تبوك عام ٩هـ/٦٣٠م . تستأذن النبي ﷺ في خدمة زوجها والعودة بعد ذلك إلى منزل أهلها ، بعدما أمر عليه السلام بمقاطعة المسلمين لهم [١٨٥]. فحرص المرأة المسلمة على خدمة زوجها وتوفير الراحة له حتى شمل هذا الظرف العصيب .

أما إذا سمحت ظروف المرأة بالاستعانة بالخادمات فلها تستعين بهن وكان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان لديها خادمة .[١٨٦]

ذبح الأغنام : يبدو أن أي عمل تستطيع المرأة القيام به ولا يناي في طبيعتها وتكوينها ولا يتعارض مع الشريعة الإسلامية ، لا تمنع من أدائه . فعن نافع قال : إن جارية كانت ترعى غنماً بسلع فأبصرت شاة من غنمها موتاً فكسرت حجراً فذبحتها ثم سألوا النبي ﷺ عن أكلها فأمرهم بأكلها [١٨٧]. ويطبق أبو موسى هذا الفعل فيأمر بناته بأن يضحين بأيديهن[١٨٨]

مهنة الغناء والقيانة [١٨٩]: تخصصت بعض النساء وخاصة الجواري في الغناء في أيام الأعياد والأعراس ، وكان عليه السلام لا ينكر عليهن ويقول لأبي بكر رضي الله عنه عندما كن يغنين بحضرته في الأعياد : " دعهن يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وإن عيدنا هذا

---

(١٨٥) ابن حجر : فتح الباري ، ج٨ ، ص١١٣-١١٦ ، حديث رقم ٤٤١٨ ، كتاب المغازي .

(١٨٦) المصدر السابق والجزء ، ص٤٨٧-٤٨٨ ، حديث رقم ٤٧٥٧ ، كتاب تفسير القرآن.

(١٨٧) المصدر السابق ، ج٩ ، ص٦٣٠-٦٣١ ، حديث رقم ٥٥٠١ ، كتاب الذبائح والصيد .

(١٨٨) المصدر السابق ، ج١٠ ، ص١٩ ، كتاب الأضحية .

(١٨٩) (القينة) الأمة المغنية . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣ ، ص٣٥١ .

اليوم"[١٩٠]. وكان عليه السلام يعلم حب الأنصار للغناء ويحضر أعراسهم وفيها المغنيات عند النساء [١٩١] ، وكان يأمر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بإرسال المغنيات إلى أعراسهم [١٩٢]. ويذكر أن النبي ﷺ مر بحسان بن ثابت رضي الله عنه في نفر معه من الناس وعندهم جارية تغني لهم فلم يأمرهم ولم ينههم [١٩٣]

ولا يفهم من هذا إباحة الغناء اليوم ، فقد كان الغناء في عهد النبي ﷺ بالأناشيد الدينية ولم يستخدم قط المعازف أو الآلات الموسيقية .

مهنة القيانة [١٩٤] : تخصص بعض النساء في هذه المهنة فقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قيام بعضهن بتجهيزها عند زواجها من النبي ﷺ [١٩٥]

---

(١٩٠) ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص٥٥٣ ، حديث رقم ٣٥٢٩ ، كتاب المناقب .

(١٩١) المصدر السابق ، ج٩ ، ص٢٠٢ ، حديث رقم ٥١٤٧ ، كتاب النكاح .

(١٩٢) المصدر السابق والجزء ، ص٢٢٥ ، حديث رقم ٥١٦٢ ، كتاب النكاح .

(١٩٣) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص١٩١، ١٨٠ .

(١٩٤) (التقين) : التزين بألوان الزينة .وقانت المرأة المرأة زينتها ، ومنه قيل للمرأة مقينة أي أنها تزين . أنظر ابن منظور : لسان العرب ، ج١٣ ، ص٣٥١ .

(١٩٥) ابن حجر : فتح الباري ، ج٩ ، ص٢٢٢ ، حديث رقم ٥١٥٦ ، كتاب النكاح .

المبحث الثالث : الحياة العامة والمواقف السياسية

مواقف نسائية في العهد النبوي :

الدعوة إلى الإسلام وأثرها في ذلك :

قامت المرأة بدور بارز في الدعوة إلى الإسلام واجتذاب غيرها للدخول فيه مثل أم شريك الدوسية [١٩٦] . التي كانت تدخل على نساء قريش فتدعوهن سراً للإسلام وترغبهن فيه [١٩٧]

كذلك شاركت المرأة الرجل في الدفاع عن الرسول ﷺ بالقول إذا لم تتمكن من الأفعال، بادرت بتحريض من يستطيع الفعل ، كما حدث لمولاة عبدالله بن جدعان التي شاهدت أبا جهل يؤذي الرسول ﷺ ويشتمه وينال منه بعض ما يكره من العيب للإسلام والاستخفاف بأمره والرسول ﷺ لا يرد عليه. ولم يلبث أن مر حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه بها متوشحاً قوسه عائداً من صيد له فقالت له : يا أبا عُمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف ولم يكلمه محمد . فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله تعالى هدايته للإسلام ، فخرج يسعى إلى أبي جهل حتى وقف على رأسه ورفع قوسه فضربه بها فشجه شجة

---

(١٩٦)أم شرك الدوسيه من المهاجرات إحدى نساء مكة المكرمة أسلمت وهاجرت إلى المدينة المنورة . أنظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٣٥١ .

(١٩٧) المصدر السابق والجزء والصفحة .

منكرة ثم قال : أَتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فَرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت [١٩٨]

ومن ذلك أيضاً أن ضباعة بنت عامر [١٩٩] أسلمت هي وقومها عندما دعاهم رسول الله ﷺ بعكاظ للإسلام ، فإذا رجلٌ من المشركين غمز ناقة الرسول ﷺ فألقته فرأته ضباعة فصاحت يا آل عامر ولا عامر لي أيصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم ولا يمنعه أحد منكم ، فقام ثلاثة من بني عمها إلى الرجل فأوسعوه ضرباً ودعا لهم رسول الله ﷺ بالبركة [٢٠٠]

كان للمرأة أثر واضح في إسلام قومها ، إذ كانت بركة ونعمة عليهم . فقد روى عمران أنه كان في سفر مع النبي ﷺ فاشتكى إليه الناس العطش فأرسل عليه السلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجلاً آخر ليبحثا عن الماء ، وأثناء بحثهما وجدا امرأة معها قِربتين من الماء على بعير لها فسألاها عن أقرب موضع للماء فردت أنه على مسافة يوم فأمراها أن تذهب معهما فسألت إلى أين ؟ فقالا : إلى رسول الله ﷺ فقالت : الصابئ فقالا : هذا الذي تعنين ، فجاءت إلى النبي ﷺ فحدثاه بأمرها ، فأمر عليه السلام بإنزالها عن بعيرها وأمر بإحضار إناء أفرغ فيه القِربتين ، ونادى في الناس اسقوا واستقوا فاستقى

---

(١٩٨) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٩١ .

(١٩٩) ضباعة بنت عامر بن قرط العامرية أسلمت بمكة المكرمة . أنظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص١٧٨ .

(٢٠٠) المصدر السابق والجزء ، ص١٧٨-١٧٩ .

الجميع حتى أنه أعطى منه إناء لرجل أصابته جنابة ليغتسل وجمع لها ماءها مرة أخرى ، وجمعوا لها بعض الطعام حملوه على بعيرها وقال لها ﷺ : " تعلمين ما رزأنا ماءك شيئاً ولكن الله هو الذي أسقانا " . ورجعت المرأة إلى أهلها فسألوها عن تأخرها فقالت لهم : العجب مما شاهدته من فعل الرسول ﷺ وقالت: " إنه اسحر الناس فيما بين السماء والأرض أو أنه رسول الله حقاً " . وقد عرف لها المسلمون صنيعها فكانوا يغزون من حول قومها من المشركين ولا يتعرضون لقومها بشيء عندئذ قالت لقومها : " ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم إلا عمداً فهل لكم في الإسلام " فأطاعوها . فدخلوا في الإسلام . وفي رواية " فهدى الله ذاك القوم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا " (٢٠١)

كما أسلم عدى بن حاتم حين قدمت عليه أخته سفانه بعد أن أطلقها الرسول ﷺ فسألها ما ترين في أمر هذا الرجل ؟ فقالت : أرى أن تلحق به وتسلم فأخذ برأيها وذهب للرسول ﷺ فأسلم (٢٠٢)

كما ثبت أن، المرأة كانت تقوم بدورها في الدفاع عن المستضعفين من الرجال ويتجلى ذلك في موقف أم الفضل زوجة العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنهما ، إذ وقفت موقفاً حازماً قوياً ، فقد روى أبو رافع مولى رسول الله ﷺ أنه كان بمكة المكرمة بعد غزوة بدر ، وسمع أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب يحدث عن هزيمتهم يوم بدر فقال أبو رافع: تلك والله الملائكة ، فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهه

---

(٢٠١) ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص٥٨٠ ، حديث رقم ٣٥٧١ ، كتاب بدء الخلق .

(٢٠٢) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٦٤٣ .

واحتمله فضرب به الأرض وبرك عليه يضربه ، وكان أبو رافع رجلاً ضعيفاً فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته به ضربة فلقت رأسه وقالت : " استضعفته أن غاب عنه سيده " . فقام مولياً ذليلاً ولم يعش بعدها إلا سبع ليال حتى مات [٢٠٣]. كما لا ننسى دور أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما في هجرة الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة [٢٠٤]

وكذلك نجد المرأة تتخذ من نفسها درعاً بشرياً لحماية ظهر المسلمين في غزوة الخندق عام ٦هـ/٦٢٧م . وذلك عندما وضع الرسول ﷺ النساء والأطفال في حصن فارع [٢٠٥] ، ولم يترك معهن أحداً من الرجال إلا حسان بن ثابت رضي الله عنه . فعمد رجل من اليهود بالطواف حول الحصن ليرى هل من أحد يحرسه ، فشاهدته عمة رسول الله ﷺ صفية رضي الله عنها فقالت لحسان بن ثابت : أنزل فاقتله حتى لا يدل اليهود علينا فأبى . فنزلت وقتلته بعمود حملته معها ، وهي بذلك أول امرأة تقتل رجلاً من المشركين من يهود بني قريظة . [٢٠٦]

ولا يفوتنا الإشارة إلى عظم بركة أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها على قومها ، إذ بعد أن علم المسلمون بزواج النبي ﷺ منها ، أعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بنى المصطلق وقالوا : أصهار

---

(٢٠٣) ابن هشام : السيرة ، ج١ ، ص٦٤٦-٦٤٧ .

(٢٠٤) المصدر السابق والجزء ، ص٢٩١ .

(٢٠٥) (حصن فارع)كصاحب ، أطم كان في موضع دار جعفر بن يحيى بباب الرحمة . وهو داثر اليوم . أنظر السهودي : وفاء الوفا ، ج٤ ، ص١٢٧٩ .

(٢٠٦) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص١٧٢ .

رسول الله ﷺ يسترقون . فبلغ ما أعتق منهم مائة أهل بيت . بسبب زواجها من النبي ﷺ . (٢٠٧)

الهجرة إلى الحبشة :

كل أمر يأمر به الرسول ﷺ تبادر المرأة ليكون لها فيه نصيب ، وتنفذه لينالها الخير منه حتى لو كان تنفيذه يتطلب البعد عن الأهل والبلد ، فنجد أن هناك نساء كُثْراً هاجرن إلى الحبشة مثل ابنة الرسول ﷺ رقية رضي الله عنها وأسماء بنت عميس (٢٠٨) وأم سلمة رضي الله عنهن وغيرهن كثير (٢٠٩)

الهجرة إلى المدينة المنورة :

لم تقتصر الهجرة فراراً بالدين من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة على الرجال فقط ، بل خرج العديد من النساء ، منهن أم سلمة مع ابنٍ لها صغير (٢١٠). وأم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وأختها حمنة وغيرهن كثير (٢١١)

---

(٢٠٧) ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص١١٦-١١٧ .

(٢٠٨)أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث ، أسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر ابن أبي طالب ثم هاجرت إلى المدينة المنورة ، وبذلك يكون لها هجرتان كما قال لها رسول الله ﷺ ، وهي أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوجة رسول الله ﷺ وعرف عنها أنها أكرم الناس أصهاراً فمن أصهارها رسول الله ﷺ وحمزة والعباس رضي الله عنهما .روى عنها كبار الصحابة كعمر بن الخطاب وابن عباس ، انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص ١٤-١٥ .

(٢٠٩) ابن حجر : فتح الباري ، ج٧ ، ص٤٨٤-٤٨٥ . حديث رقم ٤٢٣٠-٤٢٣١ كتاب المغازي .

(٢١٠) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٦٩-٤٧٠ .

(٢١١) المصدر السابق والجزء ، ص٤٧٠-٤٧٢ .

تجشمت المرأة الصعاب في سبيل الهجرة إلى المدينة المنورة ، وهي بعملها هذا كانت مصممة على موقفها ، وأقدمت عليه طلباً لمثوبة الله تعالى مثل أم كلثوم بنت أبي معيط [٢١٢] . التي خرجت وحيدة ، فخرج أهلها خلفها لردها فلم يتمكنوا من اللحاق بها إلا بعد وصولها إلى المدينة المنورة، فطلب أهلها من رسول الله ﷺ إرجاعها إليهم فلم يوافق عليه السلام على ردها لنزول آية الامتحان صوناً لها ولغيرها من النساء المهاجرات [٢١٣]. وقد عدها العسكري أول بكر هاجرت من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في كتابه الأوائل [٢١٤]. وكذلك هجرة ابنة حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه في عمرة القضاء في السنة ٦هـ/ ٦٢٧م ولحقت بالنبي ﷺ [٢١٥]

المرأة والجهاد :

كانت النساء في العهد النبوي يتفاخرن بكثرة غزواتهن مع النبي ﷺ [٢١٦]. ومما يدل على مدى أهمية وجود النساء في غزواته عليه

---

(٢١٢)أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أسلمت بمكة المكرمة وبايعت قبل الهجرة وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر النبي ﷺ .ولم يعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم خرجت وحيدة . أنظر ابن سعد : الطبقات، ج٨ ، ص٢٣٠ .

(٢١٣) ابن حجر : فتح الباري ، ج٧ ، ص٤٥٣-٤٥٤ ، حديث رقم ٤١٨٠-٤١٨١ ، كتاب غزوة الحديبية .

(٢١٤) العسكري : الأوائل ، ص٣١٩ .

(٢١٥) ابن حجر : فتح الباري ، ج٧ ، ص٤٩٩ ، حديث رقم ٤٢٥١ ، كتاب المغازي .

(٢١٦)ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص٤٢٣ ، حديث رقم ٣٢٤ ، كتاب الحيض ؛ ج٢ ، ص ٤٦٩ ، حديث رقم ٩٨٠ ، كتاب العيدين .

السلام خروج بعض أزواجه معه ، فكان إذا أراد الخروج لغزوة أقرع بين زوجاته فأيتهن خرج سهمها خرجت معه [٢١٧]. لذلك لعبت المرأة دوراً عظيماً في الغزوات ، إذ كن بمثابة فِرَقِ الإمداد والإسعاف والممرضات، فكن ينقلن قُرَبَ الماء على ظهورهن ويقمن أيضاً بإرجاع القتلى والجرحى ، وكذلك خدمة المقاتلين في ميدان القتال [٢١٨]

برع العديد من النساء في فن التمريض ومداواة الجرحى ومنهن ابنة الرسول ﷺ فاطمة الزهراء رضي الله عنها [٢١٩] ، وأم أيمن [٢٢٠]، وحمنة بنت جحش [٢٢١]، وكعيبة بنت سعد الأسلمية . كان لها خيمة بالمسجد تداوي فيها المرضى والجرحى [٢٢٢]. وكذلك رفيدة الأنصارية كان لها أيضاً خيمة بالمسجد وهي التي قامت بمداواة سعد بن معاذ رضي الله عنه [٢٢٣]

---

(٢١٧) المصدر السابق ، ج٦ ، ص٧٧ ، حديث رقم ٢٨٧٩ ، كتاب الجهاد .

(٢١٨) المصدر السابق والجزء ، ص٧٨-٨٠ ، أحاديث رقم ٢٨٨٠-٢٨٨٣ ، كتاب الجهاد.

(٢١٩) المصدر السابق والجزء ، ص١٦٢ ، حديث رقم ٣٠٣٧ ، كتاب الجهاد .

(٢٢٠) ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص٢٢٥ .

(٢٢١) المصدر السابق والجزء ، ص٢٤١ .

(٢٢٢)كعيبة بنت سعد الاسلمية بايعت بعد الهجرة شهدت خيبر مع رسول الله ﷺ . أنظر المصدر السابق والجزء ، ص٢٩١ .

(٢٢٣)رفيدة امرأة من أسلم احتسبت نفسها لمداواة الجرحى . أنظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج ٦ ، ص١١٠-١١١

عرف الصحابة رضوان الله عليهم قيمة ما تقوم به النساء في الغزوات إذ فضل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أم سليط [٢٢٤] في قسمة مروط قسمها بين نساء المدينة المنورة على زوجته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما . وعندما سئل عن سبب هذا التفضيل أجاب : أن أم سليط كانت تخيط القِرَبَ يوم أحد عام ٣هـ/ ٦٢٧م .

وكما شاركت المرأة في الغزوات البرية تطلعت للمشاركة في الغزوات البحرية عندما تنبأ بذلك عليه السلام ، فأم حرام تطلب منه ﷺ عندما أخبرها أن جيشاً من أمته سيغزون في البحر أن يدعو لها بأن تكون معهم وقد كان [٢٢٥]

وبالرغم من سماح الرسول ﷺ للنساء بالخروج معه للغزو بعد أن يستأذنَّ منه [٢٢٦] لكنه أحياناً يرفض السماح لبعضهن من الخروج معه للغزو ويقول لإحداهن : " اجلسي لا يتحدث الناس أن محمداً يغزو

---

(٢٢٤)أم سليط النجارية وهي أم قيس بنت عبيد بن زياد بن ثعلبه . أسلمت وبايعت وشهدت خيبر وحنين . أنظر ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص٤١٩ .

(٢٢٥) ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص٧٦ ، حديث رقم ٢٨٧٧_٢٨٧٨ ، كتاب الجهاد . وتسمى هذه الغزوة غزوة قبرص عام ٢٩هـ/٦٤٩م في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وبقيادة معاوية بن أبي سفيان وكانت معه في الغزوة أم حرام وزوجها عبادة بن الصامت .أنظر البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحي :فتوح البلدان ، ص١٥٧-١٥٨، عنى بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢٢٦) ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص٢٩٢-٢٩٣ ، ٤٥٧ .

بامرأة [٢٢٧]. وقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سؤالاً مباشراً للرسول ﷺ عن جهاد المرأة : فقالت : " أفلا نجاهد ؟ قال : أفضل الجهاد حج مبرور " [٢٢٨]

لمعت أسماء صحابيات مجاهدات حفظت كتب السير والتاريخ مواقفهن ومنهن نسيبة بنت كعب [٢٢٩] وأم سليم بنت ملحان وأم حرام بنت ملحان [٢٣٠] والربيع بنت معوذ [٢٣١]

قامت المرأة في العهد النبوي أحياناً بمهمة التجسس لصالح المسلمين ، فنجد أم مخرمة بن نوفل [٢٣٢] تحذر الرسول ﷺ من قريش عندما أجمعوا على قتله [٢٣٣]

---

(٢٢٧) المصدر السابق والجزء ، ص٣٠٨ .

(٢٢٨) ابن حجر : فتح الباري ، ج٦ ، ص٧٥-٧٦ ، حديث رقم ٢٨٧٥ _ ٢٨٧٦ ، ٢٧٨٤ ، كتاب الجهاد .

(٢٢٩) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٢٨٠-٢٨١ .

(٢٣٠)أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية الخزرجية وهي خالة أنس بن مالك وزوجة عبادة بن الصامت وأسمها الرميصاء ، طلبت من رسول الله ﷺ أن يدعو لها أن تكون ممن يجاهد في البحر ؛ ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص٤١٢، ٤٢٤، ٤٣٤؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص١٥٧-١٥٨ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٢٨٠-٢٨١ .

(٢٣١)الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية كانت تغزو مع رسول الله ﷺ فتداوي الجرحى وكانت من المبايعات تحت الشجرة بيعة الرضوان لها صحبة روى عنها أهل المدينة . انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص ١٠٧-١٠٨ .

(٢٣٢)رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف بن قصى . انظر ابن سعد : الطبقات ، ج٨ ، ص ٣٣٨ .

(٢٣٣) المصدر السابق والجزء والصفحة .

المرأة وبيعة الرسول ﷺ :

إن المتصفح لكتب التراجم وخاصة الخاصة بالصحابة يجد أسماء نساء حرصن على مبايعة الرسول ﷺ وهي في مضمونها بيعة عهد وميثاق فإذا أقررن بنبوته وما يأمر به يبايعهن وهي مثل بيعة الرجال ما عدا أنه ينقصها القتال ولذلك قيل أن بيعة العقبة الأولى كانت مثل بيعة النساء[٢٣٤]، وممن شهد بيعة العقبة من النساء أم عمارة [٢٣٥]. وأم منيع[٢٣٦]. وكان عليه السلام يؤكد على النساء في كل مناسبة ببيعته فيجبن بالإيجاب [٢٣٧]. وعندما تم فتح مكة المكرمة في السنة ٨هـ/٦٢٩م حرص النبي ﷺ على أخذ البيعة من نساء قريش وكانت منهن هند بنت عتبة [٢٣٨]

لم تتخلف المرأة كذلك عن بيعة الرسول ﷺ في بيعة الرضوان تحت الشجرة التي كانت بيعة على الموت [٢٣٩]. ومن هؤلاء الربيع بنت معوذ وأم عمارة [٢٤٠]

---

(٢٣٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٢ ، ص ٤٣١ .

(٢٣٥) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٢٨٠-٢٨١ .

(٢٣٦) أم منيع الأنصارية قيل أسمها أسماء بنت عمرو بن عدى .شهدت العقبة هي وأم عمارة نسيبة بنت كعب ولم يشهدها من النساء غيرهما . أنظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ج، ص٤٤١ ؛ الابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٤٠٠ .

(٢٣٧) ابن حجر : فتح الباري ، ج٢ ، ص٤٦٦ ، حديث رقم ٩٧٩ ، كتاب العيدين .

(٢٣٨) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٢٩٣ .

(٢٣٩) ابن حجر : فتح الباري ، ج٧ ، ص٤٤٩ ، حديث رقم ٤١٦٩ ، كتاب المغازي .

(٢٤٠) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٤١ ، ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٦ ، ص٤٠٠ ، ١٠٧-١٠٨ .

استشارة الرجل للمرأة :

يعد أبو سلمة من كبار صحابة رسول الله ﷺ ، وبالرغم من ذلك لا يتردد أن يطلب مشورة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حول أُناس نازعوه أرضاً ، فأشارت عليه مؤيدة قولها بقول الرسول ﷺ قائلة : " يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن النبي ﷺ قال : من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه الله من سبع أرضين " (٢٤١)

وكان كبار الصحابة رضوان الله عليهم يعولون كثيراً على مشورة المرأة وأخذ رأيها ، بل والعمل به أيضاً . فهذا هو عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يأخذ بمشورة أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها عندما قدم معاوية بن أبي سفيان إلى المدينة المنورة يدعو لبيعة ابنه اليزيد ، فأشارت عليه أن يحضر الاجتماع حتى لا يكون عدم حضوره سبباً للفرقة بين المسلمين فنفذ رأيها (٢٤٢)

ومما لا يخفى على المتصفح لسيرة الرسول ﷺ وما حدث في صلح الحديبية ، وكيف أن رسول الله ﷺ وهو من هو ﷺ يقبل رأى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، والتي عرف عنها جزالة الرأي في ذلك الموقف ، إذ أنقذت مشورتها ورأيها المؤمنين من فتنة أوشكت أن تندلع ويقع المسلمون في معصية أمر النبي ﷺ ، فقد روى عروة بن

---

(٢٤١) ابن حجر : فتح الباري ، ج٥ ، ص١٠٣ ، حديث رقم ٢٤٥٢-٢٤٥٣ ، كتاب المظالم .

(٢٤٢) حدثت هذه البيعة عام ٥٦هـ/٦٧٥م . في العهد الأموي . أنظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٦ ، ص١٦٨-١٧١؛ ابن حجر : فتح الباري ، ج٧ ، ص٤٠٢-٤٠٣. حديث رقم ٤١٠٨ ، كتاب المغازي .

الزبير رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ بعدما فرغ من الصلح قال لأصحابه : " قوموا فانحروا ثم احلقوا " فما قام منهم أحد بالرغم من تكرار أمره هذا ثلاث مرات ، ووجود كبار الصحابة رضوان الله عليهم . فدخل على أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها وذكر لها ما لقي من الناس آخذاً برأيها ومخففاً عما في نفسه ، فأشارت عليه أن يخرج إليهم ثم لا يكلم أحداً منهم حتى ينحر بدنته ويحلق ، فعمل بما أشارت به عليه . فلما رأى المسلمون ذلك قاموا فنحروا وحلق بعضهم لبعض حتى كاد بعضهم يقتل غماً مما يجدون [٢٤٣]

الغلو في بناء الحكم على المرأة :

يروى عن أفعال النبي ﷺ أن تكون فيها لفظ المرأة مقرونة مع حيوان أو ما هو أدنى ، فيفهم من سياق الرواية أنهما متساويان ، وعليه يصدر حكم تجمع فيه المرأة مع من قرنت معهم ، فتبدو بذلك في مرتبة أقل مما هي عليه ، فمن ذلك ما رواه مسروق أنه ذُكر أمام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما يقطع الصلاة فقالوا : يقطعها الكلب والحمار والمرأة ، فاستنكرت قولهم وقالت : " لقد جعلتمونا كلاباً ! لقد رأيت النبي ﷺ يصلى وإني لبينه وبين القبلة وأنا مضطجعة على السرير فتكون لي الحاجة فأكره أن استقبله فأنسل انسلالاً " [٢٤٤]. وفي رواية قالت : " أَعَدَلْتُمونا بالكلب

---

(٢٤٣) ابن حجر : فتح الباري ، ج٥ ، ص٣٢٩-٣٣٣ ، حديث رقم ٢٧٣١-٢٧٣٢ ، كتاب الشروط .

(٢٤٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٨٧ ، حديث رقم ٥١١ ، كتاب الصلاة .

والحمار" [٢٤٥]. وفي رواية ثالثة قالت : " شبهتمونا بالحُمر والكلاب"[٢٤٦].
وفي رواية رابعة قالت : " بئسما عدلتمونا بالكلب والحمار " [٢٤٧]
وبناءً على قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان ابن شهاب يستشهد بقولها في أن الصلاة لا يقطعها شيء . عندما يسئل عما يقطع الصلاة [٢٤٨]. وروى عوف بن أبي جحيفة عن أبيه حديثاً يوافق قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في أن الصلاة لا يقطعها شيء ، فذكر أن الرسول ﷺ كان بالأبطح [٢٤٩] فخرج بلال فنادى بالصلاة وركز العنزة [٢٥٠]. ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين يمر بين يديه الحمار والمرأة [٢٥١]. وفي هذا الحديث يأتي ذكر المرأة ، لأنها كانت ضِمْنَ مَنْ مَرَّ أمام الرسول ﷺ وليس لأنها في مستوى من ذكرت معها .

---

(٢٤٥) المصدر السابق والجزء ، ج١ ، ص٥٨١ ، حديث رقم ٥٠٨ ، كتاب الصلاة .

(٢٤٦) المصدر السابق والجزء ، ص٥٨٨ ، حديث رقم ٥١٤ ، كتاب الصلاة .

(٢٤٧) المصدر السابق والجزء ، ص٥٩٣ ، حديث رقم ٤١٩ ، كتاب الصلاة .

(٢٤٨) المصدر السابق والجزء ، ص٥٩٠ ، حديث رقم ٥١٥ ، كتاب الصلاة .

(٢٤٩) (الأبطح) :بالفتح كل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح .والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى لأن المسافة بينه وبينهما واحدة وهو المحصب . انظر البلادي : معجم معالم الحجاز ، ج١ ، ص٣١ .

(٢٥٠) (العنزة) :عصا في قدر نصف رمح أو أكثر فيها سنان مثل سنان الرمح وقيل في طرفها الأسفل زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير ، وقيل هي أطول من العصا وأقصر من الرمح والعكاز قريب منها . انظر ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص ٣٨٤ .

(٢٥١) ابن حجر : فتح الباري ، ج١ ، ص٥٧٥ ، حديث رقم ٤٩٩ ، كتاب الصلاة .

وفاء النذر وقضاء الحج للمرأة عن والديها :

منحت المرأة حقوقاً وواجبات مثلها مثل الرجل ، كأن تؤدي نذراً عن والديها أو تحج عنهما سواء في حياتهما لكبر سنهما نيابة عنهما أو بعد وفاتهما [٢٥٢]

رَدَ المرأة الضيم عنها وعن قرابتها :[٢٥٣]

كثيراً ما كانت المرأة تسارع لرد ضيم لحق بها أو بأحد قرابتها ، إذا ذكروا بسوء . فعن أبي بشر قال : كان مروان بن الحكم والياً على الحجاز استعمله معاوية ابن أبي سفيان فخطب يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال : عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما شيئاً فقال مروان : خذوه ، فدخل بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فلم يقدروا فقال مروان : إن هذا الذي أنزل الله فيه ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي ﴾ [٢٥٤]. فقالت

---

(٢٥٢) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٦٤ ، حديث رقم ١٨٥٢ ، كتاب الحج ، ص٦٦، حديث رقم ١٨٥٤ ، كتاب جزاء الصيد.

(٢٥٣)حدثت هذه الحادثة في العهد الأموي في خلافة معاوية بن أبي سفيان .

(٢٥٤) القرآن الكريم : سورة الأحقاف ، ١٧ ؛ وأورد القرطبي في تفسير هذه الآية أنها خصت عبداً كافراً عاقاً لوالديه ولا يصح أن تكون نزلت فيه أولاً لإنكار أم المؤمنين عائشة رضي اله عنها ذلك وهي أعلم وثانياً لقوله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول في أمم) أي العذاب ومن ضرورته عدم الإيمان وعبدالرحمن من أفاضل المؤمنين . أنظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج١٦ ، ص١٩٧ .

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من وراء الحجاب : " ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري " (٢٥٥)

شكوى المرأة لحالها مباشرة لخليفة المسلمين :

إذا حدث أو وقع ضرر على امرأة ما نجدها لا تتردد ، في رفع شكواها إلى خليفة المسلمين مباشرة . فقد ذكر زيد بن أسلم عن أبيه أنه خرج مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق فلحقت به امرأة شابة وشكت له حالها فوقف معها إلى أن قضت شكواها فعجل في قضاء حاجتها ورفع الضرر عنها بنفسه (٢٥٦)

ولا ننسى مجادلة خولة بنت ثعلبة لرسول الله ﷺ عندما جاءت إليه تشكو وضعها وسماع الله تعالى لها من فوق سبع سموات وأجابته بقرآن يتلى (٢٥٧)

فكان الصحابة رضى الله عنهم يقدرون المرأة كثيراً ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه تستوقفه امرأة عجوز وهو خليفة المسلمين فيقف معها ويطيل الوقوف حتى قال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه المرأة فقال : ويلك أتدري من هي هذه المرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة . فعمر أحق والله

---

(٢٥٥) ابن حجر : فتح الباري ، ج٨ ، ص٥٧٦ ، حديث رقم ٤٨٢٧ ، كتاب التفسير .

(٢٥٦) المصدر السابق ، ج٧ ، ص٤٤٥-٤٤٦ ، حديث رقم ٤١٦٠-٤١٦١ ، كتاب المغازي .

(٢٥٧) ابن حجر : الأصابة ، ج٤ ، ص٢٩٠ .

أن يسمع لها ووالله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم أرجع إليها [٢٥٨]

ويمكن للمرأة أن تقاطع الخليفة إذا أمر بشيء لم يوجد في القرآن الكريم أو يعارض ما جاء فيها ، ومن ذلك ، قيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطيباً على المنبر يحذر من زيادة المهور عن أربعمائة درهم . فاعترضته امرأة وقالت له : ليس ذلك لك يا عمر أما سمعت ما أنزل الله في القرآن قال : وأي ذلك فقالت : أما سمعت الله يقول ﴿ وَآتَيتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾ [٢٥٩]. فقال كل الناس أفقه من عمر وفي رواية قال : إن امرأة خاصمت عمر فخصمته وفي رواية قال : أصابت امرأة وأخطأ عمر [٢٦٠]

(٢٥٨) المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٢٥٩) القرآن الكريم : سورة النساء ، ٢٠ .

(٢٦٠) ابن كثير : تفسير القرآن ، ج١ ، ص٤٦٧ .

الخاتمة

هكذا كانت المرأة في العهدين النبوي والراشدي عزيزة الجانب رفيعة الشأن ، عظيمة القدر ، تقوم بعمل بيتها ، وتؤدي حق ربها ، بالإضافة إلى تصدرها للإفتاء وتعليم الحديث والتفسير والفرائض والمناسك ، كل ذلك في صيانة وعفة تامة لها من وراء حجاب ، إذ لم يمنعها حجابها وعدم مخالطتها بالرجال من أداء رسالتها وواجبها الذي أحست أنها مكلفة به .

فالمرأة لها حرية التصرف والحركة من قول أو فعل ولم يكن حجابها مانعاً لها ، بل لقد وجدت كل التشجيع لها لتؤدي ما عليها ، ولم يحدث قط أن ورد على لسان أي امرأة في ذلك العهد قولها أنها مضطهدة وأن الرجل سلبها حقوقها وأنها تريد أن تخرج من بيتها لتنافس الرجل في أعماله وما وهبه الله إياه من قوامة عليها ، فأين المرأة الآن مما كانت عليه في ذلك الزمان . وعليه لابد من أن تعلم المرأة الآن مواقف سابقاتها في العهدين النبوي والراشدي حتى يكون لها نبراس تهتدي به وتسير عليه . هذا من جانب المرأة ، أما من جانب الرجل فعليه أن يعلم أن المرأة قادرة على الاضطلاع بدور سالفاتها إذا أعطيت المجال وعدم النظر إليها نظرة من لا يستطيع القيام أو التصرف بأي شيء إلا به أو من خلاله أو بالرجوع إليه . وهي فيما يبدو نظرة دونية لها مستجدة لم يكن أسلافنا الرجال يعتقدونها . وعليه فعليهم هم أيضاً الرجوع

إلى سير وتراجم السابقين والسابقات . وهذا لا يتأتى إلا بنشر مواقفهم ومواقفهن وذلك باعتمادها موضوعات تدرس ضمن الثقافة الإسلامية.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المطبوعة :

القرآن الكريم .

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)،
أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت: دار الفكر _ د.ت ، د.م
الكامل في التاريخ، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م) ،
صحيح البخاري بحاشية السندي، بيروت:دار المعرفة، د.ت

البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)،
فتح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م)،
تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة،بيروت: عالم الكتب،(١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)

ابن حجر ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩هـ) ،
فتح الباري، شرح صحيح البخاري، أخرجه محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب،بيروت: دار المعرفة، د.ت

الإصابة في تمييز الصحابة وبهامشه كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب،بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)،
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،بيروت:دار الجيل،ط١، ١٤١٢/١٩٩٢م.

ابن سعد ، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م)،
الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، د.ت
السمهودي ، نور الدين على بن أحمد (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)،
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق وتعليق حواشيه محمد محيى الدين عبدالحميد ،بيروت: دار أحياء التراث العربي،ط٤ ، ١٤٠هـ/١٩٨٤م
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)،
تاريخ الأم والملوك، بيروت:دار الفكر، د.ت
العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)،الأوائل، الناشر أسعد طرابزوني الحسيني، د.ت ، د.م
القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م)
الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، ط٢ ، د.ت ، د.م
القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت
ابن كثير ، أبو الفدا إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)،تفسير القرآن العظيم:بيروت: دار الفكر، د.ت
مخلوف ، محمد بن محمد (ت ١٣٦٠هـ/١٩٤١م)،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت:دار الفكر، د.ت، د.م
ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)،

لسان العرب، بيروت: دار صادر، د.ت
ابن هشام ، أبو محمد عبدالملك (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م)،
السيرة النبوية، تحقيق وضبط وشرح وفهرسة مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، د.ت ، دار الكنور الأدبية ، د.ن

ثانياً : المراجع العربية :

البلادي ، عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
حسن ، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة ، ط١ ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م
حلبي ، محمود طعمه، نساء حول الرسول ﷺ فواضل النساء المقربات من رسول رب السماء، بيروت: دار المعرفة، ط٧ ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م
حوى ، سعيد، الرسول ﷺ بيروت: دار الكتب العلمية، ط٤ ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م
_ الزركلي : خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت: دار العلم للملايين ط ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م
سالم ، السيد عبدالعزيز، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ، د.ت
_ عبدالعزيز ، عزه،

المرأة المسلمة ودورها في المجتمع الإسلامي والإنساني، القاهرة: دار مرجان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

القرضاوي ، يوسف، امتنا بين قرنين، القاهرة:دار الشروق ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

قطب ، سيد ،في ظلال القرآن ،القاهرة:دار الشروق ، ط٩ ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، د.م

كحالة ، عمر رضا ، إعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ط١٠، ١٤١٢هـ/١٩٩١م

الندوى ، السيد أبو الحسن علي الحسني،

السيرة النبوية، عُنى بطبعه ومراجعته عبدالله بن إبراهيم الأنصاري بيروت: منشورات المكتبة العصرية ، ط ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

الدوريات

توتيشل ، نورة، بلاد العرب " ترجمة محمود بن منصور أبي حسين، مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة ٢٨ ، عام ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م.